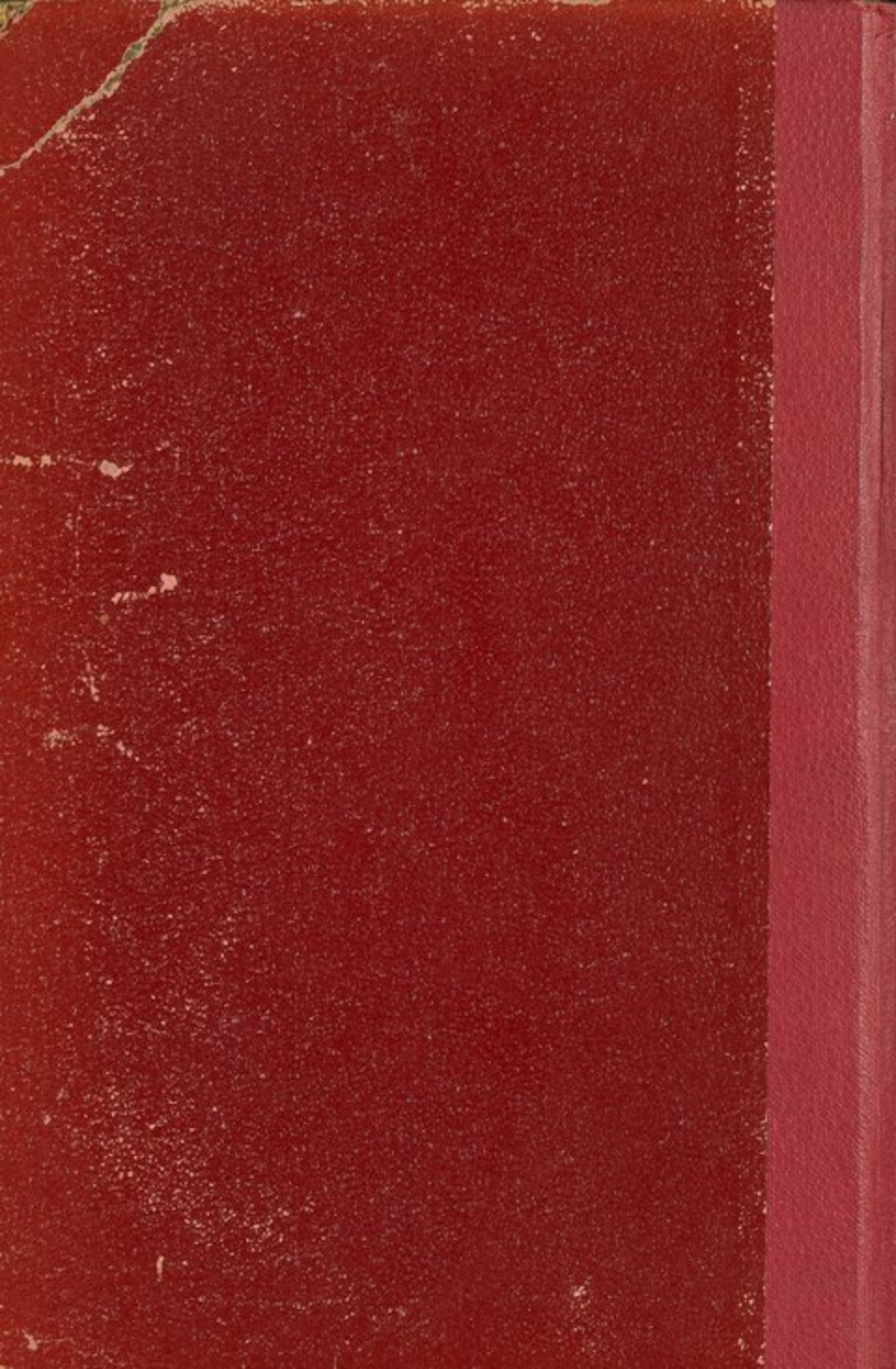




Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







مَجَالِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عُني بجمعه وضبطه وتصحيحه

الأب لويس شينغو اليسوعي

الجزء الثالث



مطبعة الآباء اليسوعيين

بيروت

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

893.78

C411

v. 3

c. 1

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدِينِ

فِي كِمَالَاتِهِ تَعَالَى

۱ إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْآثَارِ . وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالَمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَمُنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمْ . وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعْهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمْدَ لَهُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالْأُصُورُ . وَلَا تُغَيِّرُهُ إِلَّا ثَارُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تُجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَارَبَةُ .
وَتُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُحَادَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودَهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجُلُوسِ . وَالْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جِسْمَ لَهُ) وَإِنْ قُلْتَ: كَمْ هُوَ. فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ. مَتَّفِرِدٌ
بِصِفَاتِهِ. وَإِنْ قُلْتَ: مَتَى كَانَ. فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ إِنْ قُلْتَ:
كَيْفَ هُوَ. فَمِنْ كَيْفِ الْكَيْفِيَّةِ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفٌ. وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ. وَإِنْ قُلْتَ: هُوَ. فَالْمَاءُ وَالْوَاوُ خَلْقُهُ. فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ. فَهُوَ بِخِلَافِهِ. وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ. وَلَا تَخْلِطُهُ الظُّنُونُ.
وَلَا تَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ. وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ. وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ.
وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ. وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ. وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ. وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ. قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ. وَبَعْدُهُ إِهَانَتُهُ. عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ. وَنَجْمِيَّةٌ مِنْ
غَيْرِ تَنْقُلٍ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ.
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ. وَيَا ذُكْنَ مَنْ لَا ذُكْنَ لَهُ.
وَيَا حُجَيْرَ الضُّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى. وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ. وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ. وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ. يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْمُؤْنِسِينَ
لِلْمُتَكِلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ.
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ. وَأَنَا إِلَيْكَ مَهْوُوفٌ. إِذَا أَوْحَشْتَنِي الْغُرْبَةَ

أَنَسْنِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ الْغُيُومُ جَلْتُ إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمَا بِأَن أَرَمَةَ الْأُمُور كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرَهَا عَن قَضَائِكَ . فَأَقِلْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غُمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ فَلَسِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْعِفَّةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَاةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا مَنَمَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَبْنِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَأَلْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرُ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 الْقَسَاطِ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَلِّثْنِي بِالْيَقِينِ وَالْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْحَاسِبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أَحْتَجِبُ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَن نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسَرَّبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبِيرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالتَّجَبُّرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبِيرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَنْقَادَتْ

الْأُمُورُ بِأَرْزَمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِحُجَبَاتِ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْقِهِ . يَا مَنْ
 أَنْارَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنْارَ الشَّمْسِ
 الْمُنِيرَةِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِشَرِّهِ سَخَائِبِ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَحَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَليمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْإِسْمِ الَّذِي فَتَقْتَ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاطِقِينَ . الَّذِي بِهِ تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ خِرَاتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشَّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالََةَ وَالْجَهْلَ وَالْمُتَّاتَ وَالْغَضَبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَقَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
 لَطِيفُ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْعُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الْكُرُوبِ . يَا فَائِقَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ .
 يَا مُنْشِرَ الرِّقَاتِ . يَا فَالِقَ الصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَّاحِ . فَجْرًا مَعَ
 الرِّوَّاحِ . يَجْلُنَ فِي النُّوَاجِي . يَا هَادِيَ الرُّشَادِ . يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُنْجِي الْبِلَادِ . يَا مُطَاقَ الْأَسِيرِ . يَا قَاهِرَ الْكَبِيرِ .
 يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَازِي الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النُّوَاصِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصٍ . مَا عَنْهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجْرٌ مِنَ الْحُجَّيمِ .
 مِنْ هَوَاهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الدَّيْمِ . مِنْ حَرِّهَا الْمُتِيمِ . أَسْكِنِي
 الْجَنَانَا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَا لَا . أَلْقَى بِهِ الْجَلَالَ (ديوان علي)

٦ قَالَ الْأَضْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحْمَدُ رَبَّهُ بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسْنِعَ الْبَرِّ الْخَزِيلِ وَمُسْبِلَ السِّتْرِ الْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الْحَقِّيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمْتَ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَمْنُكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
 رَبُّ مُرْتِي الْعَالَمِينَ بِيَرِهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُقَصِّصُهُ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
مُقْضَلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ فَاَلْهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافَةِ الْقَرْجُ الَّذِي
يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مَنْ يَسْعَى إِلَى
وَمَنْ أَسْتَرَاحَ بَغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
رَأْيِي يَلِمُ إِذَا عَرَّتْهُ مُلَمَّةٌ
عَمَلُ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ
أَنَا عَبْدٌ سَوْءٌ أَبْقِ كُلَّ عَلَى
قَدْ أَثَقَّتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَأَغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ
وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمَرِيُّ :

يَا مَنْ نُحِلُّ بِذِكْرِهِ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا
عَقْدُ النُّوَابِ وَالشَّدَائِدِ
وَالِيهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدِ
صَدَأُ تَزْرَهُ عَنْ مُضَادِّدِ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعَبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمُلْكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُبْتَلِيتُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدٌ
 إِنَّ أَلْهُمَّومَ جُيُوشَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدُ
 فَرَجَ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي يَأْمَنُ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
 فَخْفِي لَطْفِكَ يُسْتَعَا نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدِ
 أَنْتَ الْمُسِيرُ وَالْمُسَيَّبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبِّ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَٰهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ وَاجِهي فَلَقَدْ يئُسْتُ ت مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ
 وَعَلَى الْعَدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتْنِي بِالْحَوَاسِدِ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَايِدِ
 وَعَنْ أَلُورِي كُنْ سَاتِرًا عَنِّي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدِ
 يَا رَبِّ قَدْ صَاقَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَغْتَالَ الْمُعَانِدِ
 فَأَمْنُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْحَوَاسِدِ
 هُذِي يَدِي وَبِشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدِ
 فَلَكُمْ إِلَٰهِي قَدْ شَهِدَ تُ بِفَيْضِ لَطْفِكَ مِنْ عَوَائِدِ

محبة الله والتمتع

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَاطٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عَفِيرَةِ الْعَابِدَةِ الضَّرِيرَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَّدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ
 حَتَّى عَمِيَتْ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ أَلْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ غَفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمِيَ الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا (لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَرِّلاً فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَبِتُّ أَلْيَالِي لَكَ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْقَوَادُّ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبِتُّ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَوَّنِي أَصْحَابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمٍ
قَالَ آخَرُ يَصِفُ عَابِدًا :

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا بِهَمَّتِهِ حَتَّى رَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هَمُّهُ
رَثَ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمُهُ
طُوبَى لِعَبْدٍ يَجْهَلُ اللَّهَ مُعْتَصِمٌ عَلَى صِرَاطِ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّفِيِّ :

يَا طَالِبَ الطِّيبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَّاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَةِ لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التِّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْتَكَ لَيْتَكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عِبْدًا إِلَيْكَ مَلْجَأُ
أَذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

سَلَوْنِي لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْقَا
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حَيْهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كُنْفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
صَوْتِكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَةُ فَذَنْبِكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْتَاهُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلَّنِي بِلَا خَشْيَةٍ وَلَا ضَجَرٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٠ أول مقامات الانتباه هو الأيقظة من سينة الغفلة . ثم التوبة وهي
الرجوع إلى الله بعد الإباق . ثم الورع والتقوى لكن ورع أهل
الشريعة عن المحرمات وورع أهل الطريقة عن الشبهات . ثم المحاسبة
وهي تعداد ما صدر عن الإنسان بينه وبين نفسه وبينه وبين
نوعه . ثم الإرادة وهي الرغبة في نيل المراد مع الكد . ثم الزهد وهو
ترك الدنيا وحقيقته التبرع عن غير المولى . ثم الفقر وهو تخليّة القلب
عما حلت عنه اليد . والفقر من عرف أنه لا يقدر على شيء . ثم
الصدق وهو استواء الظاهر والباطن . ثم التصبر وهو حمل النفس
على المكارهِ . ثم الصبر وهو ترك الشكوى وقمع النفس . ثم الرضا
وهو التلذذ بالبلوى . ثم الإخلاص وهو إخراج الخلق عن معاملة
الحق . ثم التوكل وهو الاعتماد في كل أموره على الله سبحانه وتعالى
مع العلم بأن الخير فيما اختاره (لبها الدين العالمي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عَمْرٍ نَا مَدَدًا .
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا . فَالْنَفْسُ تَهْجُرُ عَنْ إِصْلَاحٍ مَا فَسَدَا .

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقُطُ الْعَمَلُ .
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَعَمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . لِإِغْفِرَ لِي مَغْفِرَةً عِزًّا لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا . لِإِغْفِرَ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتَ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
إِلَيْهِ يَا رَبُّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكَ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَاسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ .
أَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا أُبْتَلِيَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْبًا . لَا فَاجِرًا وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا أَرْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تَحْقِيقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا يُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَهْجُرُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ مُنْظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَنِينٌ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

ضَعِيفٌ وَمِثْلُهُ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عُدَّتُهُ . وَخَلَقْتَ جَدَّتَهُ . وَتَمَّ ظُهُوهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طَوْلِ النَّسِيئَةِ . وَحُسْنِ التَّبَاعَةِ وَتَشْبِیحِ الْعُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ
 الشَّدَايِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلَالَةِ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيْبَةِ الرَّجَاءِ (لَا بِنَ عِبْدِ رَبِّهِ)
 ١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَقْلَيْشِيِّ مُسْتَعْطِفًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
 قَدِيمَا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ
 تَرِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ
 تَطْلَعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمُ قَمَاطَفٍ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفُ
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقْضَتْ أَوْ يُرُوقُ خَوَاطِفُ
 وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمُرُّ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَالِفُ
 فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَذْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَائِفُ
 فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
 فَجَدَّ بِالْذُّمِّ الْحَمْرُ خُزْنَا وَحَسْرَةٌ قَدَمْعَكَ يُنْيِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ
 قَالَ آخِرُ :

إِلَهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَامِعْ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرِيَا سَيِّرِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَأَنِّي لَا دَعْوُ اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُو وَيَغْفِرُ
لِمَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الصِّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُسْتَكَى وَالْمُفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمَنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ قَبْلَ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَّا رُدِدْتُ فَإِنِّي بَابِ اقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يُقَبِّطَ عَاصِيًا أَلْفَضْلُ أَجْرَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغْبِ عَنْكَ عَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهَوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا لُشِرْتَ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّخَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوُو الْقُرْبَى وَيَجْهَوُ الْمَوَالِفُ
لَمَّا ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفَلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبُّمَا خَلَقَتْ بِنَفْسِي
 كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ. وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
 الْمَادِّيَّاتِ. وَخَلَقَتْ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
 الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ. فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
 فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ. فَيَحْتَنِظُ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
 وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَنِيقَةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ
 مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا. فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
 الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ. وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ. ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
 الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضَرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
 فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ. فَأَرَى كَأَنِّي وَقَفْتُ فِي ذَلِكَ
 الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
 عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَقْشِهِ. فَإِذَا اسْتَغْرَقْتِي ذَلِكَ الشَّأْنُ
 وَقَلَّبَنِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعْ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
 عَالَمِ الْفِكْرَةِ. فَيَحْتَنِظُ حُجُبُ الْفِكْرَةِ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي
 كَيْفَ اتَّخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ. وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
 نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا. فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيوسٍ حَيْثُ
 أَمَرَنَا بِالطَّلَبِ وَالنَّجْثِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
 الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

(لباء الدين)

الْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

فِي الْخَوْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَالْكَمِينَ . وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورَهُمْ مَأْمُونَةً . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةً . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعِثْبِي رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يُجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِكَكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَّةٌ أَتْقِيَاءُ كَانَتْهُمْ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّازِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجْلِسِ الزُّهْدِ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مِثْلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا . فِهِمْ أَنْصَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَقْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي سَحَابِ رَبِّهِمْ . يُتَاجُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ فِي فِكَكَ رِقَابِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ أُمِّ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخُورَنَقَ وَالسَّيْرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخُورَنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ وَنُفُوزِ

الْأَمْرَ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا
 أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَصْحَابُهُ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ
 لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ
 بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ :
 فَسَرَرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَنُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ .
 قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ
 تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ
 ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرُمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقُمُ .
 وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَاللَّهُ لَا أَطْلُبَنَّ عَيْشًا
 لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأُخْلَعُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ الْأَمْسَاحُ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ .
 وَتَبِعَهُ الْحَكَمَاءُ وَجَعَلُوا يَسْمَعُونَ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتُوا . وَفِيهِ
 يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخُورَتَيْنِ إِذَا اشْرَفَ يَوْمًا وَلَاهَدَى تَفَكِيرُ
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْتَجَرُّ مُعْرَضًا وَالسَّيْدُ
 فَأَرْعَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةٌ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
 ثُمَّ بَعْدَ الْقَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
 ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ . فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالْدُّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

رَوَى أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصِدًّا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

قُرْأَ بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَذِيرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَفٍّ عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَتَاخَوْا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُدمُ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تُجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمِرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمِنُوا دَهْرَهُمْ غَيْرَ وَجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ قُرْأَ بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَذِيرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْخَبِيرُ نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَحْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذًا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُذَرِّكُ بِهِ النِّجَاةَ . قَالَ : دَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ . قَالَ : وَفِي هَذَا النِّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَانْتَصَرَ حِينِيذٍ وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ
(للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوَالُهَا

١٩ (مِنْ الْمُنْهَجِ) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْرَبَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمَضْمَارَ . وَغَدَا
السَّبَاقَ وَالسُّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ . أَفَلَا تَأْتُبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيئَتِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . مَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلَهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ خَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَذُلْتُمْ عَلَى
الرَّزَادِ . وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزَرُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ تَوْفِ الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقُ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِيَيْنِ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ يَسَاطًا وَتُرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالْدُّعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْنَهُ مُوَاَسَّئَةٌ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ إِلَّا لِسُنَّ وَصَفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لِحِ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا نَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَوَدَّعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
الطَّبَائِعُ . فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . فَقُلْتُ :
وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ .
فَقَالَ : لِأَحَدٍ هَذَا السَّبْعُ عَنِ النَّاسِ (وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَذْيِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطَنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَيْسْتَ السَّوَادَ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلِهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتَ لَيْسَتْ
السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَظْرِفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَتَى مَتُّ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثَّقَلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

إِلَى الْحَزَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلُغِ الْعِظَاتِ النَّظْرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ
وَأَحْسِنْ مَرِيرَتَكَ . يُحْسِنِ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُتَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تَجَالِسْ مَنْ يُشْغِلُكَ
بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْقُيُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ
وَيَتَقَلَّبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهُ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشْيِكَ بِالْجَبَّارَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَتْبَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنِّيمَةَ فَإِنَّهَا
تَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمِثْلَهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَجَنِّبْهُ . وَأَرْضَ النَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوِدُّكَ اللَّهُ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا أُنِّي مَلَكُوتَكَ . لَتَكُنْ

مَشِيئَتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآثَمَانَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِلْسَّجْدِ وَنُقَدِّسَكَ وَنُجِدَّكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمُظْمِتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَائِكَ حَتَّى
 تَشْتَغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِ قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَتَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَقِّفْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُورُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُنْبِئُنِي لَكَ الْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانْصَرَفَتْ
 وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْقُدْسِ . فَقُلْتُ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ اخْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَقَتَّرَ سَهْهُ أَوْ يَلْهُوَ فَتَنَ سَهْهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ خِفَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُغْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حَزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : رَذِئَنِي . فَقَالَ : إِنْ الظَّمَانُ يَقْنَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنْ الْحَاسَةَ الْجَلِيدَةَ إِذَا كَانَتْ مُوَوِّقَةً بِرَمْدٍ وَمُخَوِّدَةً فِيهِ مَحْرُومَةً مِنْ
 الْأَشْجَةِ الْقَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مُوَوِّقَةً الْهَوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا فِيهِ مَحْرُومَةً مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مُخْجُوبَةً عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ فَعِ ذَا مُنْتَصِبُ ذَا مُنْقَضُ ذَا مُنْجَزُ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُوجِدُوا لَا يَعْتَبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ نَفْسِهِمْ عَبْدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَنَمُ
(لبهاء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمَتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى وَلِلْمُشْتَرَى دُنْيَاهُ بِالْدِينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذِينَ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذِينَ أَخِيبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ : ابْنُ آدَمَ أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَاتِهَا بِمَا
يَنْقُضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْقُذُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَا أَهْلَكَ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَأَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرَهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلَأُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةً إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْوَالُ إِلَّا قِجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَسْتَحِيلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لِلْهَوَى مُتَّبِعٌ
 قَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَخْدَعُ
 أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِضُ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَ
 ٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
 أَنْتُمْ خَلْفُ مَا ضَيْنَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
 سَطْوَةً . أَرْجِعُوا عَنْهَا أَسْكُنْ مَا كَانُوا إِلَيْهَا قَعَدَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
 فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبْلَ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا أَنْفُسَكُمْ
 بَرَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْخِذُوا عَلَى فِجَاجَةٍ . فَقَدْ غَفَّاتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
 الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَيِّدُوا لَهَا قِبْلَ
 أَنْ تُعَذِّبُوا . وَتَرَوْدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تَرْجِعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفُ عَدْلٍ
 وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أُبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ
 ٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَعَنَاءٍ . قَدْ بُرِعَتْ مِنْهَا
 نَفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَانْتَرَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْعَدِ النَّاسَ
 فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْعَاشَةُ لِمَنْ اتَّصَحَّهَا
 وَالْمَغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَأَلْهَاكَ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا
 رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
 إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضَيِّحَ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُدْلِهِمَةَ ظُلُمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَنْشُرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَفْقَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلَغَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَاتَتْ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَّتْ . أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
أَسْفَعَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
أَوْ مَا جَنْتَ جَنْتَ . أَوْ سَامَحْتَ مَحَتْ . أَوْ صَالَحْتَ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
صَلَتْ . أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
نَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيْتُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ فَهُوَ بَعَايَةُ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثْتَ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْخَدِّ
وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْآيَاتُ :

٢٨ أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلَمَ شُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَقْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَازَةُ عَنْ أَنْاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الصُّومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّقَ الْيَلِيلِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَ الشُّجُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَتُخْبِرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمُنَايَا تَنَبَّهُ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يَوْمِلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمُنَايَا عَمَلُ

قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَفْتُونٍ يُخْلَفُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهْلَوْا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبْقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَصْحَلُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتٍ وَالْمُؤَمِّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٥ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الخازن :

عَنْتُ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَّاحَ الزَّاهِدِ الْقَطِنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَقْتَنِي مَا لَا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرْتَنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَخَوُّ بِهِ وَسْنٌ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَأَنْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةٌ تَجْبِي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَلَهُ كِلَسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ :

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنَ فَكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّيْنَةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ :

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ

مَا فَاتَ مِنْهَا فَحْلُومُ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠. اسْتَشَدَّ الْمُتَوَكِّلُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِنِّي لَهْلِيلُ

الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ . فَأَنْشَدَهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزِّ عَنْ مَعَالِيهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
أَيْنَ الْوُجُوهِ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
نَأْفِصَحُ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَلَمَّا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَلَمَّا كَثَرُوا الْأَمْوَالَ وَأَذْخَرُوا
وَطَلَمَّا شَبَدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ
أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَخَشَاءُ مُعْطَلَةٍ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَاتَتْ مَنِيَّتُهُ
أَيْنَ الْكُنُوزِ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحِهَا
أَيْنَ الْعَيْدِ الْأَلَى أَرَصَلَتْهُمْ عُدَا
أَيْنَ الْقَوَارِسُ وَالْغُلَمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الْكُفَاةِ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
أَيْنَ الْكُمَاةِ أَمَا حَامَوْا أَمَا عَضِبُوا
أَيْنَ الرُّمَاءِ أَلَمْ تُنْصَحْ بِأَسْمِهِمْ
مَمِيهَاتٍ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحٍ أَوْ بَذَلُوا
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

فَأَوْدِعُوا حُفْرًا يَابِسًا مَا نَزَلُوا
أَيْنَ الْأَسِيرَةِ وَالْتِيحَانِ وَالْحَلَلِ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلِ
تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَعُواهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
فَقَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَرَحَلُوا
أَيْنَ الْجُنُودِ وَأَيْنَ الْحَيْلِ وَالْحَوْلِ
تَوَلَّى بِالْعُصْبَةِ الْمُتَّقِينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَمِيدِ وَأَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
أَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْخَطِيبَةِ الدُّبُلِ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
أَيْنَ الْحُمَاةِ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِيَاهُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَابِسًا مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ يَغْشَاكَ مِنْ كَفِّهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكُلُّهُمْ بِاِقْتِسَامِ أُمَالٍ قَدْ شُغِلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ إِلَّا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرُوحُهُ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِلْبَّانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وتروى هذه القصيدة في ديوان علي بن أبي طالب)

حفظ الخواص

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ : شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي
 قَلْبِي . فَقَالَ : هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ . قُلْتُ : نَعَمْ .
 قَالَ : أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْفَعْتَكَ فِي مَكْرُوهٍ . وَإِنْ
 مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ . (قَالَ) مُسْلِمُ الْخَوَاصِ لِ مُحَمَّدِ بْنِ
 عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : أَوْصِيكَ بِتَهْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ .
 وَإِيَّارٍ مَا يَجِبُ عَلَى مُحِبِّكَ . وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ . فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبُكَ بِهِ . وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ . فَلَمْ يَعِصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا . (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ) :
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ . فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَإِرَادَتُهُ تَتَّبِعُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَّقِبُ . وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ . وَعَاصِدُهُ

أَلْفَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ الْأَذْنَانِ . وَهَمَّا فِي الثَّقَلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحواشيه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْإِنْسَانَ
وَيُجَدِّدُ أَلَمًا مَالًا وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لِقَبٍ . وَمَنْ قَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُغْنِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطْعُ الرَّجَاءِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالْتِقَاؤُ . قَالَ أَتَيْتُهُمْ أَضْرُ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ أَخْرَجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفِ لِلدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَرْتَجِعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمُ مِنْ يَوْمِهِ . وَيُخَافُ غَدَهُ . يَرْضَعُ ثَدْيَهُ وَيَجْرَحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُومُ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يُسَرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَتَخَلَّلَهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكَدِّرَهَا الشَّوَابُ . (وفي فضل ابن المعتز) : هَذَا زَمَانٌ مُتْلُونَ الْأَخْلَاقُ
مُتَدَاعِي الْبَنِيَانِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرِ . مُطْلِقُ أَعْنَةِ الظَّالِمِ . حَاسِرُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَفَايَةِ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْقَطُوبِ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْمُجْتَنَى . قَابِضُ عَلَى النَّفْسِ

بِكُرْبَتِهِ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلَوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُوُ الْمَوْرِدِ مِنْ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرْبِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرِيصَةِ . (وَلِشَّمْسِ الْمَعَالِي قَابُوسٍ) :
الدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مَفْصَلُهُ وَمُجْمَلُهُ . إِنْ أَصْحَكَ سَاعَةً أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أَتْبَغَى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أَتْبَغَى مِنَ الْغُولِ الْهُدَايَةَ
(طَرَائِفُ الطَّائِفِ لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتُهَا نَعَمَ الْغُصُونُ وَلَكِنْ بَلَسَمَا الثَّمَرُ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَفَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فُجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتَ كَأَنْ لَبَازِي الْمُنْتَفِ رِيْشُهُ يَرَى خُرْقَاتِ الْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي الْهَوَا
يَرَى حَسَرَاتِ كَلَّمَ طَارِ طَائِرُ قَيْدُكُ رِيْشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ خَاسِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمٌ
بِعَجَابِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرٍ تَلْتَطِمُ
وَالْعُمْرُ يُسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقَرُّ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَّ ضَوْؤُهُ ظَلَمٌ
وَالنَّاسُ بِحُلُمٍ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صَمٌّ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعَمْ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعَمْ
فَرِقُوا فَرَقًا فَرِقُوا فَرَقًا وَمَضُوا طُرُقًا لَا تَلْتَمِ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهِيَآتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامَنَا تُطَوَّى وَهِنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
إِنَّمَا أَقْبَجَ التَّفْرِيطَ فِي ذِمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بَرَادٍ مِنَ التَّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ بِمَا فِي يَدَيَّ
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا هُنَاكَ بِمَا عَلَيَّ
كَأَنَّ الْبَالَكَايَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنَ مَنِيَّتِي فَتَعَيَّنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِرَبِّهِ :

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَالِكِ عَلَى شَفِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تَرُدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

ضَعُوا خَدَيَّ عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ غَفْرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشَقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَقَبِّبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةُ ثَالِثِ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتُ نَوَاطِرُ مُقَلَّتِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى الْبَلَى هَذَا فُلَانُ هَلُمُّوا فَأَنْظَرُوا هَلْ تَعْرِفُونَهُ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمَفْدَى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَاسْتَيْمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَعْثَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاتٍ سَتَجِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتَصْلِيهِ
فَكُلُّ شَيْءٍ إِسْوَى التَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
رَأَى الَّذِي أَخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا لَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمُنَايَا سَوْفَ تُرْجَعُهُ
وَقَالَ آخِرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

حَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
يُعْجِلُ تَخْلِيصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعْيشَ فَإِنِّي
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا عَلَى الرِّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُحِيبُ مُنَادِيًا أَنْكَرْتُ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
قَالَ الرِّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلِ وَتُرَابِ
أَكَلَ التُّرَابُ مُحَاسِنِي فَلَسَيْتُكُمْ وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحِبَّائِي
وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي لِنَجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَدَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
أَنْتِ تَسْهَيْنَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهَوُ وَتَلْهَيْنَ وَالْمُنَايَا تُجَدُّ

أَيُّ مُلْكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ لِمَرِي حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لَحْدٌ
لَا تُرَجُّ الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ خُوفُهَا لَكَ وَرَدٌ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنْ الْأَجَبَةِ وَالْمَدَامِ وَمِلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْهَيْامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمِلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمًا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي الْهَوَى لَكِنْ تَرَى يَدَيَّ زِمَامِي
أَبْعَدَ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخُو سُكُونٍ يَلِيقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ نَقْصٌ بَعْدَ هَذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَذَرُ الْإِيمَانِ
فَكَمْ أَجْرِي فِي مِيدَانِ لَهْوٍ خِيُولَ هَوَى وَكَمْ ضُرِبَتْ خِيَامِي
سَأَوْتِي الْكَلَسَ تَعْيِسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِابْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
مَنْ يُطِعَ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِهِ أَوْ الصَّيْرَ خَانَا
كَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضَلُّوا
لَا تَتْرُكُنْ نَصِيحِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَأَعْلَمَنَّ وَاصِحٌ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْزِئْهُ غِيبَ التُّقَى
 إِنْ أَتَى أَفْضَلَ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحُجَّيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يُخَصِّدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارُوا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبَرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْلِقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَانْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ تَعْلَمْتُمْ
 وَمَا يُقَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحمِدُهُ
 فَالْمُوتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامٌ أَنْتَ بِمَا يُلْهِيكُ مُشْتَغِلُ
 تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفَرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِ وَجَدًا فَأَحْسَنْ مَا
 عَنْ نَجْمٍ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى ثَمَلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْيِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرْقَى مَكَانًا دُونَهُ زَحَلُ
 بَقَاؤُهَا بَقَاءُ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بِحَرِّ الْأُمَانِي
 أَضَعْتَ الْعُمْرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَهَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
 وَفِي ثَوْبِ الْعَمَى وَالنَّعْيِ رَافِلُ
 وَفِي وَقْتِ الْغَسَامِ أَنْتَ نَائِمُ

وَطَرَفَكَ لَا يُرَى إِلَّا طُمُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا جُمُوحًا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
بَلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
بِحَجْرِ الْإِثْمِ لَا تُصْنِي لِوَاعِظٍ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبُكَ هَامٌّ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَرْذَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَةِ مُجَدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعَشِيِّ
وَجَهْدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدٌ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
٤١ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

زَلَّ الشَّيْبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ فَاهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فَلَا نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
هَيْهَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
قَدْ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
مَنْيْتَ نَفْسَكَ بِاطِلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَّاحِلُ
ضَيِّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلَ وَلَمْ تَفْزُ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرُ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُوا . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَحِبُّونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَقْتُونِينَ
مَعْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُبِّهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَشْتَ الْمُطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَحَشَشْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيِّنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبَّرْتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَنَتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسُ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتُكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تَبْرِدُ فِيهَا مَاءُكَ . وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاءُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
نَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدِهِ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبِهِ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيِّنِهِ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتُ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَدَّلْتَ وَمَا أَهْقَرَ مَا
تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

رِثَاءُ الْأَسْكَندَرِ

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ الْإِسْكَندَرِ لِمَا جُعِلَ فِي تَابُوتٍ
مِنْ ذَهَبٍ تَقْدَمُ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُخْبَأُ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُخْبَأُ . وَتَقْدَمُ إِلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضِينَ
وَتَمَلَّكَهَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَّفَ عَلَيْهِ آخِرُ) فَقَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى حُلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ أَنْقَضِيَ إِلَى ظِلِّ الْعِشَاءِ وَقَدْ أُنْجِلَى .
(وَوَقَّفَ عَلَيْهِ آخِرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُثْقِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مَلِكََ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخِرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْتَعِبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ ضَيْقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْتَعِبُ بِهَا عَنْ رُحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخِرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَيْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِلْأَيُّوتِ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخِرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسٍ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغْلَبُ . (وَقَالَ رَيْسُ
الطَّبَاخِينَ) : قَدْ نَضَّدْتُ النَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَضَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَأَسْتَأْرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ

(الْقَيْرَوَانِي)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ يُحْيَى :

وَكَيِّدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيْتٍ أَسَفًا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَّنَا
وَتَوَرِّي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى
مَنْ كَانَ خِلَافًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ
يَا مَوْتَ يَجِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ
يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيتَ فِي الْعِنَانِ لَهُ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْقَهُ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ
يَا قَمْرًا أَجْهَفَ الْخُسُوفِ بِهِ
أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفًا
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ
لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْبًا
يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبِدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السُّكْنَا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ الشَّرُّورُ بِهِ
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْرَزْنَا
يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي
وَلَا أَمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا أَمْتَلَا حَزْنَا
لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْرَزْنَا
هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَمَرٍ مُظْلَمَةٍ لَحْدٌ وَيُلْبِسُنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مُعَارَضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمُنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لَنْ عَمَرْتُ دُورًا يَمُنُّ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمُقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِي فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْثَرُ لِقَائِكَ . فَقَالَ :

بَابِي وَأُمِّي مَنْ عَبَّاتُ حَنُوطَهُ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ أَسْأَلُو وَكَيْفَ أُنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَلَأَمَّا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ يَدِي أَخَاهُ :

أَخْ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْحُسَيْنَةُ تَرْثِي أَخَاهَا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ الْأَنْدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِّيَّ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْقَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
يُحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا

جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَيَا تَحْجَمُ الْحَابُورَ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا أَلْمَالَ إِلَّا مِنَ قِتَا وَسُيُوفٍ
فَقَدَنَاهُ فَقَدَانُ الرَّيِّعِ فَلَيْتَنَا قَدَنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًّا فَإِنِّي أَرَى أَلَمُوتَ وَقَفًّا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرَى الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزَنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَذَّرَا
وَارْحَمَتَاهُ إِصَارَخَاتِ حَوْلُهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجُوهَا لَنْ تَسْتُرَا
مُلَقًى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدَ فِي الْحِجْرَابِ حِينَ تَسُودَا
لَهْفِي عَلَى الْهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرُّهُوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُودَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوَانَهَا اتَّصَلَتْ لَكَاتُ الْبُحْرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
لِحَقِّ الْغُبَارِ جَيْبُهُ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالُ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حُرِّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلَقُ كَثِيرُ
وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبَلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرَعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَلْقَلَانِيَّ الْبِصْرِيَّ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتِيدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودَعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بغيرِ خَلِيلٍ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَحْيِيَ مَنِّي وَيُفَرِّدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ بَيْتِي أَخَا أَسْمُهُ حَيْبُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبُ زُرْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبُ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحَ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفِي لَهُمْ مُتَخَشِعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوْلِيُّ يَزِي أُنْبَا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقُلَّتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ يَزِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُتَمِّمَ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تَرَابَهُ فَلَطَامًا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوْفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَى غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتَهُ فِي بَسَاتِينِ اللَّيْلِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ مُتِمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرَى أَخَاهُ مَا لَكَ :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبَكَاءِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَا لَكَ
قَالَ آخِرُ :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمْ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارَقْدَ أَخْلَقَتْ
هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَّا جَوَارُهُمْ
قَالَ الْقَطْمَشُ الضَّيِّي :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
قَالَ آخِرُ :

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ حِشْبَةً
أَلَا فَلَيْمَتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
إِلَيْكَ وَمَا تَرَدَّدُ إِلَّا تَتَانِيَا
فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
فَقَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَرْتُمْ السِّجْنَ خَالِدًا
لَقَدْ كَانَ بَيْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ
فَإِنْ تَسْجُونُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُونُوا اسْمَهُ
قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرْثُمَةٍ سَمَقَا
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا
أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا
كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
وَقَالَ الْتَمِيمِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ
رَدَّتْ صِنَاعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
فَالنَّاسُ مَا مَتَّعَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ

يَبْغِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُحِيرٌ
بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالْثَنَاءِ جَدِيدُ
فَكَأَنَّهُ مِنْ تَشْرِهَا مَشُورُ
فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرُ

(الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصِرْنَ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَر . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رُبَّمَا أَشَدَّ . كَالْفَضَنِ النَّضِرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ . فَالرَّمْحُ قَدْ يَقْتُلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَّانَ وَالرَّجَّحَ . قَالَ الْمُوسَوِيُّ :

الْقِيلُ يُضَجُّرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقَرْيَةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ :
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَا . فَقَالَ : الْقَنُوعُ
بِعَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُسَاوَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ :
كُتْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَا عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَمُ . فَقَالَ :
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحَقِّ . فَقَالَ : مَا الْحِمَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشَّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحِمْلَةُ فِي وُجُوهِ
الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ . وَإِرْضَا الرِّجَالِ .
قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِقَادِ . فَقَالَ :

مَا إِلَّا نَصَافُ. قَالَ: الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: مَا
 الذُّلُّ. قَالَ: الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوعِ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ. فَقَالَ:
 مَا الْحِرْصُ. قَالَ: حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ. فَقَالَ: مَا الْأَمَانَةُ. قَالَ:
 قَضَاءُ الْوَاجِبِ. فَقَالَ: مَا الْحَيَانَةُ. قَالَ: التَّرَاحِي مَعَ الْقُدْرَةِ. فَقَالَ:
 مَا الْقَهْمُ. قَالَ: التَّفَكُّرُ وَإِذْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (لِلغزالي)
 ٥٥ (فَائِدَةُ جَامِعَةٍ وَلَمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
 إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ. يَغْفِرُ زَلَّتُهُ. وَيَرْحَمُ عَثَرَتَهُ. وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ. وَيُقْبِلُ
 عَثَرَتَهُ. وَيُقْبِلُ مَعْذِرَتَهُ. وَيَرْدُّ غِيْبَتَهُ. وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ. وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ.
 وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ. وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيُقْبِلُ
 هَدِيَّتَهُ. وَيُكَافِي صِلَتَهُ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ
 حُرْمَتَهُ. وَيَقْضِي حَاجَتَهُ. وَيُقْبِلُ شَفَاعَتَهُ. وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصِدَهُ. وَيُسْتَمِتُ
 عَطْسَتَهُ. وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ. وَيَرْدُّ سَلَامَهُ. وَيُطِيبُ كَلَامَهُ. وَيُبْرِئُ أُنْعَامَهُ.
 وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
 وِفَاءِ حَقِّهِ. وَيُؤَاوِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ. وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ. وَيُحِبُّ لَهُ مِنْ
 الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ. فَلَا يَتْرُكُ
 وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (التَّوْبَةُ لِلْأَصْهَانِي)
 ٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانٌ وَلَا نَمَامٌ. وَلَا
 مُتَنَابٌ وَلَا قَتَاتٌ. وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ. وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ. يَطْلُبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَغْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْزَعَهُمْ . غَضِيزُ الطَّرْفِ . سَخِي الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلًا .
 وَلَا يَبْغِلُ بِنَائِلًا . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ . مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحَسِّنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمُعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمُوْتَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ . لَمَّا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للدميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ :) قَالَ أَزْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبْتَ الْمُلُوكَ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبْتَ الرِّعْيَةَ عَنِ الطَّلَعَةِ . (أَفِرْدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِيرَوَانُ) الْمُلْكُ إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَاتِهِ . (أَبْرُوِزُ) أَطِيعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِيعَكَ مَنْ دُونَكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَرِّ :

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بِطُولِ تَهْلُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمُتَنَصُّورُ عَلَى الْقَتْلِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَسْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمُتَنَصُّورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُتَمَلَّ الْأَعْدَاءُ يَوْمًا يَغْدُوهُ وَبَادِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا عَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا ظَفِرَ الْهُوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَآخِصٌ وَقَاجِرٌ .
فَالْعَاقِلُ الدِّينَ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمَ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيَ الْحَسَنَ سَجِيَّتُهُ . إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ . وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ . وَإِنْ سَمِعَ أَلِغَمَ وَعَمَى . وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى .
وَأَمَّا الْآخِصُّ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ . وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ . وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
نَزَلَ . فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ حَمَلَ . وَأَمَّا الْقَاجِرُ فَإِنْ ائْتَمَّتْهُ خَانِكَ . وَإِنْ
حَدَّثَتْهُ شَانِكَ . وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرَعَكَ . وَإِنْ اسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ .
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَعْلَمْ . وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ . وَإِنْ فُهِمَ لَمْ يَفْقَهُ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلاَحٌ مُلْكُكَ وَاسْتِقَامَةٌ رَعِيَّتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ . قَالَ :
لَا تَعْدِدْ لَا تَتَّقِ مِنْ نَفْسِكَ بِإِجْزَائِهَا . وَلَا يَغُرَّنَكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدُّ رُوعْرًا . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْعَوَاقِبَ . وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عَيْسَى بْنُ دَاوُدَ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِيِّ وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُقْمَتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءُ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا . الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلُ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمُّ قَاتِلُ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلُ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهَمِّ وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بُرْزُجْمَهْرُ حَكِيمِ الْقُرْسِ (قَالَ) : نَصَحَنِي
 النَّصَحَاءُ وَوَعَّظَنِي الْوُعَاظُ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعْظُمْنِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْئِي وَلَا تَصَحَّحَنِي مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَصَضْتُ نُورَ الشَّمْسِ وَضَوْءَ
 الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكَتُ الْأَحْرَارَ
 وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرَأَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
 اخْتِلَاقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا أَلَّا نَفْسَ لِنَفْسِهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قَلْبِهَا . وَزَاخَمْتُنِي الْمَضَاقِقُ فَلَمْ يَزْجِمْنِي
 مِثْلُ الْخَلْقِ السُّوءِ . وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فِي
 شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ
 فَلَمْ أَرِ نَارًا أَرْعَى عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَأَبْتُنِي الطُّلَابُ فَلَمْ

يُذِرْكُنِي مُذْرِكُ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا أَلَدَّ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَلَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوِحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْءِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّنَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَغَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السَّوْءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلْذَّ مِنْ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنْ
الْإِنْسَانِ السَّوْءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرَ مِنْ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قَرْنًا أَغْلِبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوْءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلَ مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ
بِالنِّسَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السَّوْءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقِّ . عُمِرْتُ السَّيْحَنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوَثَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْقَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَخَبْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالنَّخَارِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

صَلَاحَةً إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَذْلَ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السَّوِّءِ . وَشَدِيدُ الْبُكْيَانِ لِإِعْزَافِهِ وَأَذْكَرُ فَلَمْ أَرِ شَرْفًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمُعْرُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُفَى الْفَاحِشَةُ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُتَحَلِّ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قُبَايْصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي اتَّقِ عَثَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشِ تَسَلُّطَ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَهُ الدَّهْرُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ وَالْأَيَّامَ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَقَلِّبٌ
مُتَوَلٍّ فَاحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَيْمُ الْكُرَّةِ فَخَفْ سَطَوَتَهُ . سَرِيعُ الْغَيْبَةِ فَلَا تَأْمَنْ
دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامٍ إِلَّا ثَامَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذْلَ حَوَاسِهِ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبُلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعْيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمُلْكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُورِجِبَتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقَوِيَّةُ الْحَذِرَةُ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْأُخْرَى فَاقَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسُ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتُحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ عَلَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حَرِّهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيَمَكِّنُ الْقَانِصُ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكَ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتُخْصَلُ الصِّمَارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرَّيْحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِمَتَمِّ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِلٍّ . وَيَعْمُرُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدَرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حَقُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَاحِدَةً فِعْلَهَا نِدَاؤَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمطارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرَّيْحِ)
 فَإِنَّ الرَّيْحَ لَطِيفَةٌ الْمَدَاخِلُ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمُنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَجَّعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيْسِهِ وَعُيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

(وَكَا لَقَمْرٍ) إِذَا اسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ بِضَوْوِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْسَانِيَةِ رِعْيَتِهِ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا ذُوْنَ وَضِيعٍ بَعْدَ ذَلِكَ . (وَكَا لَنَارٍ) عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لَأَرْضٍ) عَلَى كَيْتَمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قَبَةَ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يُقَصَّرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لَيْسِهِ لِمَنْ لَا يَنْهَى . وَهَذِهِ وَأَقْتِلَاعُهُ عَظِيمُ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ (للطَّرطوشي)

اشعار حكمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاه :

السَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخَرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عُقَابَ النَّجْرِ تَنْظُرُهُ قَدْ أَضْمَحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارُهُ فَإِذَا بَادَرْتَهُ خَمَدَا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلَا أَوْ رَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَبَدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَّا أَفَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُؤْلُونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرَفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيُلَوُّونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنَ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُجِبْنِكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعًا
غَرِقَتْ وَيَفْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعًا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
فَلَيْسَ يَخْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرِعَا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخَزَاعِيُّ :

إِقْضِ الْخَوَانِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْخَيْرُ أَيَّامٍ أَلْقَى
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجٌ
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْخَوَانِجُ

٦٦ قَالَ الْقَطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُنَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجْلِ الزَّلَلُ
مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَمِلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ
فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بِشِيرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخَلْقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنْتَا
إِنِّي وَإِنْ قَصَرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَاتِ وَالْذُّلَّ
كَمْ مِنْ فَتًى قَصَرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوهُ
إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَاسَنُ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةُ
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخُطُومِ مَوْضِعَهَا
وَلَا يَغُرُّكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْقَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْغَيْبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يَجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي الْأَقْلَامِ يَبْكِي بِدَمْعِ صَلْبِ
 وَاللَّهُ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِيَ بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبٌ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلايُ فِي فَضْلِ الْإِتِّعَادِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحٌ
 وَأَنَّ الْقِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا فَيَهْضُرُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحٌ
 قَالَ آخِرُهُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبَعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ١٩ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ :

أَحْسِنُ لِمَنِي وَاعْظُ وَمُؤَدِّبُ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُسَادِّبُ
 وَأَحْضُ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُسَحِّنِ يَغْدُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَغْطُبُ
 أَبِي إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتَقَى إِلَهَكَ فَانْجَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ إِلَهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيئَةٍ وَالْمَالَ عَارِيَةً تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفْتِ نَاطِرِ سَبِيًّا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبُّ
 وَمَنْ السُّيُولُ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
 أَبِي إِنَّ الدِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْعَجَاجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذْلِهِ
إِنِّي أَبُوهُ بِعُزَّتِي وَخُطِيئِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجْهَدُ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرٌ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَأَخْفِضُ جَنَاحَكَ لِلضَّعِيفِ وَكُنْ لَهُ
وَالضَّعِيفُ فَأَكْرِمْ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَادُهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخِيَتْهُ
وَأَطْلُبُهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ السَّمَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرُ ذَوِي الْمَلَأَى اللَّثَامَ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَلِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِسِرِّ الْوَالِدَيْنِ كَلِمَتَاهَا
فَلَا تَضَعَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُفْ الْأَذَى وَاحْظِ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ قَدَيْتَكَ مِنْ وَدِّ الْحَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
وَنَافِسْ بِبَذْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى بِهَيْئَةِ مَحْمُودِ الْخَلَائِقِ مَا جِدْ
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَصْنُكَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ وَلَا تَكُ فِي النِّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاهِدِ
وَغَضٍّ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ أَذَى الْجَارِ وَاسْتَسْكِنِ بِحَبْلِ الْمَعَارِدِ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُوَمِّلٍ خُلُودًا فَمَا حَيَّ عَلَيْهَا بِخَالِدِ
وَ كُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدُّهُ فَتَادٍ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَوْدًا فَلَقَدْ تَفَارَقَهَا وَأَنْتَ مُودَعُ
وَأَهْمٌ لِلْسَفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ أَنْأَى مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْعُ
وَأَجْعَلْ تَرَوْدَكَ الْمَخَافَةَ وَالْثَمَى فَلَعَلَّ حَقِّكَ فِي مَسَانِكَ أَسْرَعُ
وَأَنْفَعُ بِقُوَّتِكَ فَالْقَنَاعُ هُوَ الْغَنَى وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَقْنَعُ
وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّيَّامِ فَإِنَّهُمْ مَنَعُوكَ صَفَرَ وَدَادِهِمْ وَتَصَنُّعُوا
أَهْلُ التَّوَدَّةِ مَا أَنْتَهُمُ الرِّضَا وَإِذَا مَنَعَتْ فَسْتَهُمْ لَكَ مُنْقَعُ
لَا تُفْشِرْ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرٍ يُفِيهِ إِلَيْكَ سَرَانِراً يُسْتَوْدَعُ
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَخَالَةَ يَضَعُ
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْعُ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْقَتَى وَلَعَلَّهُ خَرَقَ سَفِيهِ أَرْقَعُ
وَدَعِ الْمُرَاحَ قُرْبَ لُظْفَةِ مَا زَحِ جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْأِسَاءَةِ عَثْرَةً
وَإِذَا أُوتِمْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِعُ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَغْنِي غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَلَوْنٍ
جَوَادُ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تُعْذِهِمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أُنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطَوِّقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرَقُ

حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَلَيْسَكَ نَأْوِيًا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عَقُولِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقِيَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعُرُوسَ مُبَهَّتًا
 وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِرْزَنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
 أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْوَالٌ غَيْرُ آكِلِهِ
 وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ
 فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَصَلَ حِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَفْصَى الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وَالصَّبْحُ وَاللَّيْلُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
 يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهُ
 يَأْقُومُ مَنْ عَاذَرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
 وَيَأْكُلُ أَمْوَالُ غَيْرٍ مِنْ جَمْعِهِ
 وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ
 مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ
 وَصَلَ حِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَفْصَى الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ
وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَالْفَوَافِيهَا تَصَانِيفَ .
فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ
مِنَ السُّؤَالِ ذِكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ .
الْعَدِيمُ مِنْ أَحْتَاجٍ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ
تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُتَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ .
رُبَّ عَتَقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ
دُونُكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ
فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . غَثُكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ
غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمَقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَهَجَاوِرِ الْبَحْرِ
لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ
السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَشْدُ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ
قَرَائِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ
نَفْسَهُ . أَذَلَّ قَلْبَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجُدَدَ أَمِنَ الْعِثَارَ (لِلطَّرطُوشِيِّ)

نبد من كلام الزخشي والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السَّمَّ
أَتَكَالَ عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْلُطْفُ رُشُوةٌ مَنْ لَا رُشُوةَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ
يُنْجَسْ رَيْعُهُ . أَذْوِيَةُ الدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُؤْمِهَا . وَتَسْمِيهَا لَا يَفِي بِسُؤْمِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْهِنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَطٍ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الشَّوْطِ . شُعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَا . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَأُ . أَعْمَالُكَ
نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كِفَايَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَايَظَّتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبَسْتَ
الْوَرَعَ . وَأَحْسَنُ مَا اكْتَسَبْتَ الْحَسَنَاتِ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْقِيَنِي . قَالَ : سَلْ
مَنْ يَدْفِيَنِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبُّمَا كَانَ حَنَفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَخْنَاشِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمْثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشَجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرَيْنَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غَرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عَقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذْلُ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صَفْرَدٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عَوْدٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعُقُوقِ . (الصَّافِرُ
الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعَوْدُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَارَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَالْفَاخَتَةُ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رَجُلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسْرُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضْيَقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَارَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي الصَّمِّ الصَّلَابِ . وَأَخْفُ مِنْ رِيَشِ الْحَوَاصِلِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٍ مَجْرَى الْمَثَلِ وَهِيَ لِشُعْرَاءَ مُخْتَلَفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغَيْرِ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَصْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقَصَّدْتَ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيْبَكَ كُلَّ مَا يَسُوءُكَ أَبْعَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّمِّ
 إِنْ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي قَقْسَ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِيَ لِنَفْسِكَ صَاحِبًا فَهِنْ قَبْلَ أَنْ تُصْفِيَ لَهُ الْوُدَّ اغْضِبْهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُرَى بِقَدْرِهِ إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّذَرُهُ مِنْ تَوَهُمِ
 إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسَدَّ الْحُلُمَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَارَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّبَّ وَالضُّبَا
 رَقِبْ جِزَاءَ الْحَسَنِ إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تَسِيْ
 أَخِيرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 ذَكَرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْتَأْمُ مِنْ قَدَحٍ وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قَدَحٍ
 الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضٍ يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَفْلُهُ التَّذَكِيرُ
 سَبَّكَاهُ وَتَحْسَبُهُ لِحِينًا فَابْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 عَفَاكَ غِيٌّ إِنَّمَا عَفَا أَلْقَى إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 غُلَامٌ أَتَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمِّ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ فَلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوِعْنِي
فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَقْرِ
فَالدُّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرَّتِهِ
لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
لَا تَعْرِتْكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرْمُ
لَا تَحْسَبِ الْمُجْدَرُطَبَا أَنْتَ آكَلُهُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
لَا تَحْقِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
مَا لِقَوِي عَنْ ضَعِيفٍ غِنَى
مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْغَائِبِ إِنْ زَارَتْ
لَا يَحْمِلُ الْحَمْدُ مَنْ تَعْلُوهُ الرِّبُّ
الْمَرْءُ يَخِيَا بِالْأَسَاقِ وَلَا عَضْدِ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
وَقَدْ يَكْشِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خُذْ فَلْتُ كَفِّي لَا نَوَاتِنِي
فَمَا كُلُّ مَضْفُولٍ الْحَدِيدِ يَمَانِي
مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
فَمَا أُحْتِيَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكَفْنِ
فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِّ
مَ يَا رَبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّيْرَا
حَتَّى يَرَأَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمَ
وَلَرْبَمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثُّغْلُبُ
وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ
أَتَى بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودُ
لَا بُدَّ لِلْسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ
وَلَا يَعِيشُ بِالْأَقْلَابِ وَلَا أَدَبِ
تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
كَمَا يَكْشِفُ الشَّمْسُ جِرْمُ الْقَمَرِ
حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيضَاهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍ
وَإِذَا أَفْقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
وَمَا تَنِي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَوِّلُ إِلَى بَلِي
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا
وَمَاذَا أَرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
وَيِ السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ تَفَحَّتْ بِهَا أَضَاءَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا
وَيُمْكِنُ وَضْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعَدَاوَةِ كَفَّهُ
يَهْوَى الشَّاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقْصِرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلٌ
سَبَبُ لَجْمِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَانِمٍ
لَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةَ لَا يَسِ
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
كَأَخْطِ فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
كَأَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
حُبُّ الشَّاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

الْبَابُ السَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنِ السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بازٍ وَدَيْكٌ تَنَظَّرَا . فَقَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقْلَ
وَفَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُوْخِذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلَكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُؤُوكَ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرَّتَ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَانِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ فَطَرَّتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَلَوْخِذٌ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِي فَتَخَاطَبَنِي . وَأُطْعِمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسْهَدُ قَامِعٌ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسَى الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أَطْلُقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِي فَأُطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَاجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكُ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْرَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَدِ النَّارِ
مَا عُدَّتْ إِلَيْهِمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّقَافِيدَ مَمْلُوءَةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيًّا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ

(لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حَكِي أَنَّهُ أُخْتِمَ رُغُوْثٌ وَبَعُوْضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوْضَةُ لِلْبَرْغُوْثِ :
إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا .
وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبَنِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْهُجُوعَ . وَلَا أَزَالُ عَلَيْهِ مَجْهُودَةً . مُبَعْدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتِ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَائِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبَرُّغوثُ : أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنِطِنَةٌ . وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ مُدْنِدِنَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُوتِي

اللَبْوَةُ وَالْغَزَالُ وَالْقَرْدُ

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبْوَةً كَانَتْ سَاكِتَةً بِغَايَةِ . وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقَرْدٌ قَدْ
أَلْقَتْ جَوَارَهَا وَاسْتَحْسَنْتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبْوَةِ شَبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِحَارِهَا
الْغَزَالُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبْوَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوَّتًا
لِشَبْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِيَابِ حُجْرِهِمْ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاِقْتِنَاصِ
وَاحِدٍ لِحِمْلِهِ قُوَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجَدُّهُ فِي
نَفْسِهَا مِنَ الْقُوَّةِ . وَأكَّدَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَاسْتِلاَمُهُ لِأَمْرِ اللَّبْوَةِ .
فَأَخَذَتْ ظُلُمًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْقَلَقَ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إظهارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِحَارِهِ الْقَرْدَ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلِعُ عَنْ هَذَا وَتَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْحِيرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ ظُلُمًا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقَرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاها وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا أَمْنُ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ الْبَنِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلِ اقْتِنَاصِي لِأَوْلَادِ
 الْغَزَالِ . إِلَّا كَأَقْتِنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوَّتِي وَقَدْ
 سَاقَهُ الْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : هَكَذَا اغْتَرَّ الْقِيلُ بِعَظِيمِ
 جُسْتِهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجَثَّ عَنْ حَتْفِهِ بِظَلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ الْبَنِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
 فَقَالَتِ الْآبُوءَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقَرْدُ : ذَكِّرُوا أَنَّ قَدْرَةَ
 كَانَ لَهَا عَشْرُ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
 وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الْقُنْبُرَةِ .
 فَقَبِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبُهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَوُطِئَهُ وَهَشَمَ
 رُكْنَهُ . وَأَتَفَ الْبَيْضَ وَأَهْلَكَ الْفِرَاحَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقُنْبُرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
 بِعُشِّهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْقِيلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
 رَأْسِهِ بَاكِئَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي
 وَهَشَمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي فِي جَوَارِكِ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
 اسْتِضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةِ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْقِيلُ : هُوَ كَذَلِكَ .
 فَأَنْصَرَفَتِ الْقُنْبُرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقِيلِ
 فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْقِيلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
 لِلْعَقَاقِ وَالْغُرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
 عَيْنِيهِ . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
 وَمَضَوْا إِلَى الْقِيلِ . وَلَمْ يَذَلُّوا بِهِ يَتَحَذَّبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَتَفَرُّونَ عَيْنِيهِ إِلَى
 أَنْ فَتَقَوْهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَّتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقِيلِ . فَقَالَتْ
 الضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتْ مَعَ الْقِيلِ وَلَسْنَا أَكْفَاءُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مَنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقِفْنَ
 تَضِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ لَمْ يَشْكُ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكِبُ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْحُقْرَةِ
 تَوَهَّمَنَّ أَنَّ بِهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكْبَأً عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تَرْفُفٌ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ قُوَّتُهُ الصَّائِلُ عَلَى ضَعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُسْتِي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ . وَمُسَالِمَةِ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْقِيلُ مَسَلَكًا لِحَوَائِهَا .
 وَلَا طَرِيقًا لِحُطَائِهَا . فَلَمَّا انْتَهَى الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤْسَةِ مِنَ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ انْتِهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ اتَّقَصَلَ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَبْتَغِي لَهُمْ مَخْرَجًا آخَرَ . وَإِنَّ اللَّبْؤَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ اللَّبْؤَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا
 مَقْتُولًا مَسْلُوحًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيمًا . فَأَمْتَلَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاحَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دَهَالِكِ . فَقَالَتِ اللَّبْؤَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانِهِ
وَمَنْ يَذَرُ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرُ بِذَرِّهِ يَكُونُ الْبُخَيْرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنْ حَقَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِيَ مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّعِيَ لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ . فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ لَا
أَجْزِعُ وَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهَّةُ الْفِكْرِ . وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : أَيَّتُهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغْدِيكَ
وَيُعَشِّيكِ . قَالَتْ : لَحُومَ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقَرْدُ : أَمَا كَانَ لِكَتْلِكَ
الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ بَلَى . قَالَ الْقَرْدُ :
فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِأَوْلِيكَ الْآبَاءِ وَلَا الْأُمَّهَاتِ ضِيَاحًا وَضُرَاحًا كَمَا مَعَ
مِنْكَ وَلَقَدْ أُنْزِلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
وَقَدْ تَصَحَّحْتُكَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ . وَالْحَقَّتْ بِنَفْسِكَ الْعَارُ .
وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الظُّلْمَةِ الضَّعَافِ .
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللَّبْوَةُ : وَجَدْتُهُ
مُرًّا الْمَذَاقِ . وَلَمَّا عَلِمَتِ اللَّبْوَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدُهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَفْتَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْفَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حُكِيَ أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنْ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا لِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ .
وَبَذَلَتْ الْعُقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عَدِيَّةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمَلَهَا مِنَ الْعَجَبِ . وَأَصْبَحَ النُّقْلُ
وَاقِفًا لَا يُبَدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا
وَطَفِقَ الْوَجْهُ يُبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
وَالْعُقَارِبُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ سَمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَأُ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْفَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَاحْتَقَ أَقُولُ إِنِّي مَلَيْتُ مِنَ الدَّقِ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السَّاعَةُ
مَقَالَتهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سِلْكِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
الْوَجْهُ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ دَافَعْتَ عَنْ نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَالًا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وَجْهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَحْدُثُ فِي الْمَطْلَعِ . وَوَدَّتْ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكِ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ مِحْيٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوْ لَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَكَيْفَ مَظْلَمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَاسَرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَأْتُ هَذِهِ الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرَدَدْتَنِي شَرْحًا . فَأَنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّجَرُ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقَ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقَ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ بَدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا الْحُجْبُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُحَالُ أَنْ مَجْرَدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنُ عَظْمِي وَعَزْزِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَحِيلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالِمَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْعَزِيزُ إِنِّي لَهِيَ تَعْجِبُ عَظِيمٍ مِنْ أَنْقِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِشَلِّ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَغْتَةً . نَعَمْ إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عَمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَلِمْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنْ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَلْتَمَسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْآنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِتَضَعُ مِصْدَاقَ مَا قُلْتُ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ حِينَئِذٍ : نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَالِي وَتَضَجُّرِي لَمْ يَلْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ
 الْأُوفِ وَالْأُوفِ الْأُوفِ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يَدْبِغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ تُتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأُوفِ
 بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . وَأَمَّا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةُ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لَا غَيْرُ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْسَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجْلِ
 لِإِتْمَامِهِ . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالٌ فِيَّ وَأَمَّا لِي .
 فَقَالَ الرَّجُلُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظُلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنْ الْأَثْقَالُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحِفْظَةِ مَا بَرَحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوْرَانِ . وَطَفِقَتْ الْعُقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْنِجِ الْمُغْلَقِ مِنْ كَوَّةٍ فِيهِ أُمْتَلَأَ الرَّجُلُ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْيِيسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَلَمَّا صَاحَبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا زَالَ إِلَى الْمَطْنِجِ لِيَفْطُرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةَ الَّتِي بِحَيِّي تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لَيْلًا بَنَحُوا ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قرود وغليم

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكُ الْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوُثِبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً تَيْنِ فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَأَخَذَ هَالَهُ مُقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا . إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تَيْنَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِقَاعًا . فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَدْرِي فِي الْمَاءِ فَاطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطَرُّجِ التَّيْنِ فِيهِ . وَكَانَ ثُمَّ غَلِيمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تَيْنَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَآلَفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَلِيمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَخَجَرَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سَوَاءٌ فَأَغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوَّجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ آلَفَ قِرْدًا وَآلَفَهُ الْقِرْدُ . فَهُوَ مُوَاكَلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْغَلِيمَ أَنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا : مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا : إِنْ قَرَيْتُكَ مَرِيضَةً مُسْكِنَةً . وَقَدْ وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلِقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا جَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْغِيلَمُ : مَا ثَبَطَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَتْرِي .
 فَأَنِي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَثْمَارِ . فَأَرْكَبُ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَتَرَلَّ فَامْتَطَى مَطَا الْغِيلَمِ . حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فُجْجٌ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْعَذْرِ فَتَكَسَّ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَمِّمًا . فَقَالَ الْغِيلَمُ : إِنَّمَا هُمِّي
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِينَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أَبْلِغَكَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنَّ الَّذِي
 اعْتَمَدُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْوَنَةَ التَّكَلُّفِ . قَالَ الْغِيلَمُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَسَ الْغِيلَمُ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَى
 وَأَسْرَعَ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَذْنِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَفْعَلَ عَنِ التَّمَاسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَلْبُ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيَّةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
 ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغِيلَمِ : مَا الَّذِي

يَحْسِبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُلْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اتَّمَسْ مَا يُضِلُّ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَ نَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورِطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْقَانِعُ الرَّاظِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ اخْتَبْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 اتَّمَسِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْهَلَ قَلْبِي مَعِيَ . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيَاةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قَلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَقَرِحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا خَلِيلِي أَجْهَلَ قَلْبُكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عُقْتُنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هِيَاتَ
 وَلَكِنَّكَ اخْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَاسْتَدْرَكْتُ

فَارْطَأْمَرِي. وَقَدْ قِيلَ: الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ. لَا يُضِلُّهُ إِلَّا الْعِلْمُ. قَالَ
 الْعَلِيمُ: صَدَقْتَ. إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ. وَإِذَا أَذْنَبَ
 ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ. وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخْلُصُ مِنْهَا.
 كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ. فَهَذَا
 مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كَلِيلُهُ وَدَمْنُهُ)
 الضم والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدِهِمْ. فَأَثَارُوا ضَبْعًا فَفَنَرَتْ
 وَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُوهَا. فَلَجَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مَسْلُولًا.
 فَقَالُوا لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا. فَقَالَ: إِنَّهَا اسْتَجَارَتْ بِي
 فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ. فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ. فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
 اللَّابَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
 يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ. فَقَالَ ابْنُ عَمِّ لَهُ:
 وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِ الَّذِي لَا قِيَّ مُجِيرُ أَمِّ عَامِرٍ
 أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَانَ الْلِقَاحَ الدَّرَارِ
 فَاشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كُنْتُ قَرْنَهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظَافِرِ
 فَقُلْ لِدَوِيِّ الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاؤُهُ مَنْ يُوجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ
 اسد وذئب وغراب وابن آوى ورجل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ
 ٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ. وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ: ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى. وَإِنْ رَعَاةً مَرُّوا بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ. فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا. قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ: تُقَدِّمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ. فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا. فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ. وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أُنْيَابَهُ. فَلَمْ يَكُدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ. حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ حِرَاكَ وَحَرَّمَ طَلَبَ الصَّيْدِ. فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَفَوَاضِلِهِ. فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ. وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ: لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَخْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا تَهْمُنَا
أَنْفُسُنَا. لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكََ عَلَى مَا زَادَ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ. قَالَ
الْأَسَدُ: مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا الْعَمَلُكُمْ تَصِيدُونَ
صَيْدًا فَأَكْسِبُكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ. فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ. فَتَتَحَوَّنَ نَاحِيَةً وَاسْتَمْرَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا: مَا لَنَا وَلِهَذَا
الْأَكِيلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا. وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا.
الْأَبْنُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ آوَى: هَذَا مِمَّا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ.

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْمَى وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَمِي لَنَا وَلَا بَصَرٌ لَنَا بِنَا مِنْ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتِمَاعِنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مَحْجُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشْبَ الْمَتَمَرَّغَ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُغَيِّبُ مُصْلَحَتَهُ . فَلَمَّا تَمَعَّ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالُكَ وَأَبْعَدَكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِي عَلَى يَهْدِهِ الْمَقَالَةِ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَدَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَلْنُكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقْنِ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَنْتَهُ وَلَسْتُ
 بِالْغَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا عَرَفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّفْسُ
 الْوَاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمَضَرِّ . وَأَهْلُ الْمَضَرِّ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ زَرَأْتُ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَفَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ نَفْسُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عِنْدَ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِ الْجَمَلِ . عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتَمَامًا مِنْ بَأْسِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسْقِفُهُ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَعَمَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغَرَابُ : قَدْ اخْتِجَتْ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيك . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا أَهْلَكَتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ بَقَايَا بَعْدِكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَا كُلَّنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ أُسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبَعُ الْمَلِكَ . فَلْيَا كُلَّنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغَرَابُ بِقَوْلِهِمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَا كُلَّنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغَرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطِبَّاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَا كُلَّ لَحْمٍ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوا لَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طِيبٌ هَنِيئٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَا كُلَّنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ . فَقَدْ سَمَحْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغَرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنْهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليله ودمنه)

الجدى السالم والذئب النادم

٨٦ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ لَذِئْبٌ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلَبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شَبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرُ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتِ
السَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قِطْعًا مِنَ الصَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جَدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَادَ الْجُوعِ بِالْهَجُومِ . ثُمَّ أَذْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَقِظًا . وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئَتْهُ
مُتَحَقِّظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْحَرْصُ وَالشَّرُّ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَلِلذَّئْبِ عَاتِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الدَّكِيُّ .
فَأَذْرَكَهُ الذَّئْبُ الشَّيْطُ . وَأَفْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيَ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبَلَاءِ مِنْ قُضِيهِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرَطَةِ الْوَبِيلَةِ . إِلَّا مُغِيثُ الْخِدَاعِ وَالْحِيلَةِ . وَأَذْكُرُهُ مُذَكِّرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَتَقَدَّمَ بِجَاشٍ صَلِيبٍ . وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيِ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ مُحِبُّكَ
الرَّاعِي . لِحَنَابِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صَدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحَسْمَتَكَ وَمُرَافَقَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ مُحْسِنَ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظْرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِضِعَافِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفَرَعُ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجَزَعِ . فَسَيَجْعَلُ جِوَارَكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَانْتَعَشَتْ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مَصَادِقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَغْنِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغَنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغِذَاءِ . فَإِنْ أَقْتَضَى رَأْيَكَ
 الْأَسْعَدُ . غَنَيْتَكَ غِنَاءً يُسْنِي أَبَا اسْتِحَاقٍ وَمَعْبَدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُفَوِّي كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا كَلَلَكَ . وَيُسْنِي مَا مَلَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذُ . الَّذِي لِلْجَائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيدٍ . وَخُبْزِ سَمِيدٍ . وَلِلْعَاطْشَانِ مِنْ قَدَحِ
 نَبِيدٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَامْتِنَالِكَ أَوَّلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالكَ .
 فَقَنَّ مَا بَدَا لَكَ . فَرَفَعَ الْجُدِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصُّرَاخِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعَصْفُورُ الْحَشَا يَهْوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَاهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَازَلَتْ عُجْبًا وَعَجْبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْغَنَمِ .
 وَلَكِنْ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَهْمِ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّيْرِ . فَقَدْ أَتَجَلَّتْ
 الْبَلَابِلُ وَالزَّرَازِيرُ . وَزِدْنِي يَا مُغْنِي . وَغَنِّي لِي . مَا يَلِي قَوْلِي .
 أَقَرَّ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجِدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَنْتُمْ الْجَدِيُّ الْقُرْصَةُ
وَأَزَاحَ بَعِيَاظِهِ الْفُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَيْنَ الْمَوْتِ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَاذَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْفِتَاقُ . وَقَالَ :

فَقُوتُكُمْ أَنْظَرُوا حَالِي أَبُو مَذْقَةَ أَكْكَالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالطَّرْقِ يَعْدُو . فَلَمْ يَشْعُرِ الذِّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ بِحُسْنِ السَّمَاعِ غَافِلٌ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْغَنِيمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجَدِيَّ
وَأَقْلَتَ . وَتَجَا مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصْلَتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّى . إِذْ
تَفَلَّتْ . وَأَقْبَى يَعْصُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الذَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقَبْرُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدٍّ لَكَ فَنٍ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدٍ جَانٍ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا
تَتَلَوَّى . وَبَحْمَرَةِ قَوَاتِ الْقُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هِرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَأْوَاهُ . وَكَانَ الْقَيْطُ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَآلَفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَقَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ أَرَاذِلِ الْقَارِ عَمْرُو
وَزَيْدٌ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوًى لِرَّائِسِ الْجُرْذَانِ . وَبِجَوَارِهِ
تَحْزِنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْذُ لِيُضْعِفَ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطْرِ آمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَايِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْقِرَاعُ مِنَ الْخَوَافِ وَالْمَزَاجِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَاسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ عَلَى الْعُودَانِ .
وَأَفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَادَ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْقَطْرَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْلِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِسْتِحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ إِسْبَابُ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْثِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهْبُ . وَيُعْطِي مَا سَابَ . وَيَرْجِعُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطْرُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَشُورُ قَلْبَهُ . وَيَقُودُ
حَنَقَهُ . وَتَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقَهُ . فَلَا يَقْرَأُ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأَضْطَرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السَّكَنُ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْاِقْتِصَاصِ
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ اَتَمَّاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَادَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصِّلَحِ بِسَاطِ الْإِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرَبَّ عَلَيْهِا الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُهُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
 الْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ الْمَالِ مَا
 وَقَيْتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَّرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِنَقْلِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ الْهَرِّ . وَسَلَّمْ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبِيرٌ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْإِشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُّ عَلِيٌّ . وَيَعْظُمُ
 لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْإِضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
 الْجُهْدَ وَالضَّيْرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَنَاوَلَ الْقِطْعَ
 مِنْ تِلْكَ السَّرِيقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَارِ الشَّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادَقَةِ . وَتَبَّتْ الْحَبَّةُ بِالْمَوَاقِفَةِ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عِدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكْ مِنْ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْخِصْلَةَ
الذِّمِّيَّةَ . وَنَسْتَأْنِفُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكُرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْسِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَةً . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكَرَكَ وَرَغْبَتِي فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
بِمُعَظَّمَاتِ الْإِيمَانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ آمِنًا فِي حِجْبِكَ
وَذَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْبِيَائِكَ . فَإِنِّي أَلْتَرِمُ لَكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُنْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَعَدَاءً وَعِشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُّ هَذَا الْبَرَّ . اعْتَجِبَتْهُ هَذِهِ
النِّعَمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النِّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقِطْعَ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَرِمُ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقِطْعُ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْحَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقِطْعِ دِيكَ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنِسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لِمَا لَقَاءَهُ .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقِطْعِ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

أَلَيْكَ : بَمَا ذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَعَزِّ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْنَاءِ . فَضَحِكَ أَلَيْكَ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحِيهِ مُتَعَجِّبًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَضَحُّكَ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَاطِنِكَ .
 وَأَنْفِيَادِكَ لِمَدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَايِكَ وَمُخَادِعِكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . أَلَوْاجِبُ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُفْسِدُ الْقَاسِقِ .
 الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى آمَنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عُقْدَهُ . وَتَقْضِ
 عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرَمْنِكَ مَا يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حُسِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ أَلْوَصِلُ إِلَيْكَ . لَمِتَّ هُزَالًا
 وَجُوعًا . وَلَمَّا عِشْتَ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَا لَكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جُرْذًا صَادَقَ هِرَّةً . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مِرَافَقَةً . فَمِنَا صَحَّةُ
 الْقِطْرِ وَالْقَارِ . كَمَصَادَقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِطْرُ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَاطِرُهُ بَعْضَ إِيْلَامٍ وَقَالَ لِلدَّيْكَ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرُ . فَقَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَاسْتَحْتِ الْمُنْعَسِ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْقَمْحِ . فَلَا تَشْعُرُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْمُسْلَخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَعُ فِيكَ

وَلَا أَنْخَ . وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَظْلَعْتُكَ عَلَى مَا قُلْتُ
إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدَّيْكَ عِنْدَ الْقِطْرِ
فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدَحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّيْكَ مِنْ حِينِ
أَنْفَلَقْتَ عَنْهُ الْبَيْضَةَ . وَسَرَحْتَ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفْتُ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لَشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَعْدُ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُغَشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُخْفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ زَوْلَ
مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
يَتَّقِبُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَثْطَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
غَزْوَانَ . فَخَسِرَ وَقَهَرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَأَشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدَّيْكَ وَاشْتَعَلَ . وَأَنْتَفَضَ هَابِرًا . فَأَرْتَعَدَ
الْجُرْذُ مِنْ شَيْخِ الدِّيَكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَأَنْتَفَشَ وَأُزْوَى .
وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَأَلْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ رَجَالًا .
وَالْقِطْرِ بِرَأْيِ أَحْوَالِهِ . وَيُمِيزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُنْتَقِمِ . وَهُمْ وَكَفَهَرُ . وَرَقَصَتْ سُورَابُهُ وَأَزْبَارُهُ .

وَلَسِي الْعُهُودَ وَالْأَيَّامَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ .
فَوُتِبَ عَلَيْهِ وَأَدْخِلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروى

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَلَّمَ بَعْضَ عِبِيدِهِ الصُّلَحَاءَ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هَذِهِدًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدَّدَا . فَقَبِي بَعْضُ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهَذْهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَمِثٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقَبَاءِ وَالذِّيْبَاجِ لَا تَقْعُدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ فَتَانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْهَذْهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنَّهُ مَسَلُّكَ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتُ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيًّا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَتَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرِّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلضَّحِكِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْحَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَنْبَهَ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعَائِلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْهَذْهَدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يُلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْصُفُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلٍ يُهِنُهَا تُقَاسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرُبُ
فَنَادَاهُ وَقَالَ: يَا أَبَاعِبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ. وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ. فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهَدْهَدَ إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ. وَلَا يُبْصِرُ ثَغْرَةَ الْفُحِّ
وَلَا مَا وَرَاءَهُ. وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ. كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا غَوِيَ
وَأَغْتَرَّ وَبَطِرَ. وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ اشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ. وَأَنَا لَمَّا
أَغْتَرَزْتُ بِحِدَّةٍ بَصْرِي. ذَهَلْتُ عَمَّا يُجُولُ فِي فِكْرِي. فَتَغَطَّتْ حِدَّةٌ
أَسْتَبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخٍّ أَغْتَرَارِي

مالك الحزين والسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ. مَأْوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَغُذْرَانٌ. تُضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ. وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ. مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ. فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ. فِي دَعَا وَخَيْرٍ. يُزَجِّي
الْأَوْقَاتَ. بِطَيِّبِ الْأَقْوَاتِ. وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ. كَانَ فِيهَا بَرَكََةٌ.
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَالْغُذْرَانِ لَمْ يُخْرِجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنَاءِ. تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغِذَاءِ.
وَارْتَجَّ لِقَوْتِ قُوْتِهِ أَبْوَابُ الْعِشَاءِ. فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلَكُوتِ. يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقَوْتِ. فَلَمْ يَفْتَحْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ. وَامْتَدَّ هَذَا الْحَالُ. عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيْالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرِّقَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنْ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَطَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ اُلْتَقَفَهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَتْلَاعِهَا . قَصَدَ إِلَى اِبْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
اِسْتِثْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبُرْعُوثُ وَدُمُهُ . وَالْعُصْفُورُ وَدَسَمُهُ . اَسْمِعْ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ عَمَرْنَا
فِي صَوْنِهِ اُنْقَضَى . لَا تَعْجَلْ فِي اِبْتِلَاعِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي ضِيَاعِي . فَبَقِيَ
بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
اَلْاِسْمُكَ فَالْكُلُّ عَيْدُهُ وَرَعِيَّتُهُ . وَوَاجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ اَبَوِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْاِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنْ أَبِي نَذَرَ النَّذُورَ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي اَلسُّرُورُ . فَمَا فِي اِبْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَلَا اَلْاَسَدُ
لَكَ رَمَقًا . وَلَا اَشْغَلُ لَكَ مَعِدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ فَأَفْقَرَنِي فِيمَنْ
أُحِبُّ وَلَا اُسْتَغْنَى فَالْأَوَّلَى أَنْ أَقِرَّ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمُصَادَقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ اَلْحُبَّةِ وَالْمُرَافَقَةِ .
وَيَحْتَمِلُ لَكَ اَلْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
أَعْتَمَتْنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَدٍ تَحْمِلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ اَلْبَلْشُونُ . هَذَا اَلْمُجُونَ . أَغْرَاهُ
اَلطَّمَعُ . فَمَا اِبْتَلَعَ . بَلْ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : اُعِيدِي هَذِهِ اَلرَّمْزَةَ .

فِيَجْرِدُ مَا فَتَحَ فَاهُ بِالْهَمْزَةِ . اُتَمَلَّتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْزَةٍ . وَغَاصَتْ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصَلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَتَأَمَّلَ عُقْبَى أَمْرِكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ . كَانَ فِي بَعْضِ الْقُرَى لِلرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدِيكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَمَضَى عَلَيْهِ
 مِنَ الْعُمُرِ سِنُونَ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُنُونٍ . وَقَلَسَى
 حُلُوهُ وَمُرَّهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِلشَّعَابِ شِبَالَكُ مَصَايِدَ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِهِ
 نَوَائِبَ وَشِدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حِيلِهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
 فَاتَّقَى لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى بَعْضِ الْجُذُرَانِ . فَنَظَرَ
 فِي عِظْفَيْهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَقْشِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خَيَالَ تَاجِهِ الْعَلِيقِي .
 وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِي . وَنَفَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنْفَشَ . وَسَرَّ أَوِيلَهُ الْمُنْقَشَ .
 وَالتَّوَبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَقَاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقْطَعِ الْمُبْرِقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَآذَنَ فَاظْرَبَهُ حِسَّهُ فَصَارَ يَدُهُ وَيَتَجَرَّرُ . وَيَتَصَفَّ
 وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّشْيِ سُوَيْعَةٌ . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيْعَةِ . فَصَعِدَ

إِلَى جَدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ . فَأَتَسَى
صَوْتُهُ الْكِتَابِيَّ وَالْدَّهَانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطْلَبٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةً مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْقَيْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوقَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَجِيتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النَّعْمِ وَالصَّيَاحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْقَوْتِ . وَمَصَابِ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأَسَلِّمَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرَكَ مَا أَسْدَى مِنَ النَّعْمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرَكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجَحُ مِنَ الْوَلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعُ نَظِيرُهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطِئَانِ . وَإِجْرَاءِ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّخْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيْتَانِ . وَلَا
يُقْتَصَرُ فِيهَا عَلَى جَنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبَهَائِمُ وَالضَّبَاعُ . وَالْأَرْوَى وَالنَّعَامُ . وَالصَّقْرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالْتُونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُو قَلَمُونَ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِسْعَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحُسْنُ

الْمُعَاشِرَةِ وَالْمُرَافِقَةِ . فَتَمَحَّى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوشُ الْعَدَاوَةِ
 وَالْمُنَافَقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعُمَابِ . وَيَبِيتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرَعَى الذِّبُّ مَعَ الْأَذَنْبِ . وَيَتَأَخَى الدِّيكُ وَالثَّعْلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْخُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادَقَةُ . وَتَنْفُتُ أَبْوَابُ الْمَحَبَّةِ
 وَالْمُرَافِقَةِ . وَلَا يَنْفَرُ أَحَدٌ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يَرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّعْلَبُ يَقَرِّرُ هَذَا الْمَقَالَ . وَالِدِيكَ يَتَلَفَّتْ إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْجَبَالِ . فَقَالَ الثَّعْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أَبَشِّرُكَ بِبَشَارٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّقْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَايِمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسَرُّ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَلْتَفِتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تَعُولُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَيَّ بَعْدَ لَيْسِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُظَلِّعَنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَيَّ مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَاجًا ثَائِرًا . وَنَفْعًا إِلَى الْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ
 أَبُو الْخَصَنِينِ : وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . بِاللَّهِ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَضِرٌ دَقِيقٌ .
لَا الْحَيْلُ تَلْعَقُهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَانِمُ الثَّغْلِبِ . وَطَلَبَ
الْمَهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْدِرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحَقِّقَ
رُؤْيَيْهِ . وَأَتَيْنَ مَا هَيْئَتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ .
وَيَسْكَدُ يَا أَبَا النُّجْمِ . يَحْتَفِلُ النُّجْمُ فِي أَرْجَمِهِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَضْحَكُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ أَتَّاجِرُ الْعَقِيَّتِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَسْكُنُ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَاقِي

فَقَالَ الْدَيَّكُ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالْصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيءَ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ
وَتُعْقَدَ بَيْنَنَا عُقُودُ الصَّدَاقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . فَدَعُ عَنْكَ الْمُحَاجَّةَ وَاللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالطَّبْرِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشْرُومَ . لَمْ يَبْلُغْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَّاصِ جَانِبًا

الجميل والملح

٩١ كَانَ جَمَالٌ . قَتِيرٌ ذُو عِيَالٍ . لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ . وَيَتَقَوَّى هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلاَحَهُ . فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاَحَةِ .

فَبَعْدَ فِي تَفْقِيرِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَاذِمَتِهِ بِأَثْقَلِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالُ . وَالْجَمَالُ لَا يَبْقَى لَهُ بِحَالُ .
وَيَجُذُّ فِي كَدِّهِ بِالْإِسْتِغَالِ . فَنَبِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٌ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ اسْتِيقَافِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى الْغُرُزَ هُزَاةً . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَّأَلَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَنَكَالِهِ . وَأَنَّ الْإِلْحَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَتَيْتُهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخَلَّاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَضْرِ هَذَا الدَّمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتُ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخَلَّاصِ .
مِنْ شَرِكٍ هَذَا الْإِقْتِصَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْإِرْتِيحَاصِ وَالْإِرْتِيصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلٍ كَالرَّصَاصِ . فَهَلْ يَعْزُضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاخَةِ مَخَاضَةٍ . فَقَالَ : كَثِيرٌ . وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتُ
فِي خَوْضٍ . وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرُكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَنْصَلْ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَفَرَّغْ . وَاسْتَسِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْإِلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكِرَرُ هَذِهِ الْحَرَكَةِ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَاتَةَ . فَأَمَّا أَنَّهُمْ يُغْبَرُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُخَفَّفُونَ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أضعفوه . فَتَحْمَلُ
الْجَمْلُ لِلْأَرْبِ الْعِثَّةَ . وَشَنَفَ بِدُرِّ هَذِهِ الْفَائِدَةِ أُذُنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْحِمْلَ الْمَعْهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَوْرُودِ . وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا تَحَرَّكَ . تَحَعَّلَ ضَرْبُهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ أَنْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
 الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَتَقَرَّ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَلُ هَذِهِ الصِّلَةَ .
 فَأَفْتَكَرَ لَهُ فِي دَاهِيَةِ وَبِيلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ . وَغَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ الثُّنُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَغْيِيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَّطَ
 عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الضُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمَلَأُ الْبِرْكَ . ثُمَّ أَرَادَ
 الثُّهُوسَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوسُ . فَقَاسَى مِنَ الشَّقَاقِ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَبِيلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِأَضْعَافِ الشَّقِيلِ . فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
 وَأَمْثَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ اتِّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا
 الْمَثَلَ . عَنِ الْجَمَلِ . لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَطَّارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْغَدَّارَ . وَالْخُسُودَ
 الْمَكَّارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفَرِّغُ أَنْوَاعَ الْهَلَاكِ وَالرَّزَايَا
 كَمَا هِيَ . وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصُرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُذْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَقَارَةً
 يُغْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْخَضَمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

الْبِسْتَانِي وَالْأَرْبَعَةُ الْعَابَثُونَ بِمَجْنَتِهِ

كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مُسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَيَقِي

بَغْضِ السِّينِ . قَدِيمَ قَرْيَةٍ مَنِينٍ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ . فَبِغْضِ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتْ الْقَوَاكِمُ
بِالْأَنْعَامِ . وَنَثَرَتْ الشِّتَارُ مَلَابِسُ الْأَشْجَارِ مِنَ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْتَامِ .
فَالْبَجَاتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ . أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ . فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ قَعِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسَقُوا . وَتَأَمَّلُوا
وَعَفَّفُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ . تَصَرَّفَ الْمَلَاكُ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
خَادِشًا . وَمَارِشًا وَتَاوِشًا وَنَاكِشًا . فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى الْعَجَزَ فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّائِيْدِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّفْعِيْدِ . فَابْتَدَأَ بِالْتَّرْحِيْبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْهَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْفَاكِهَةِ . وَطَائِبِهِمْ بِالْمُفَاكِهَةِ . وَسَامَحَ
بِالْمُتَارَحَةِ . وَمَارَحَ بِالْمُسَامَحَةِ . إِلَى أَنْ أَطْعَمَانَا . وَأَسْتَكْنَانَا وَأَسْتَكْنُوا
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَاَعْبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكَرَامُ . لَقَدْ حُزِنْتُ أَطْرَافَ الْعَرَافِ وَالْطَّرَفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُعَانُونَ مِنَ الْحَرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
شَيْخُ الْقُضَاةِ جَدِي . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا قَعِيهٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيهِ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهٌ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكٌ رِقَابِنَا . وَحَارِسُ حَبَابِنَا . يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وَقَايَةً . وَيَنْكِحِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نِكَاحَةٍ . فَلَوْ مَدَّ يَدُهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ .
فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَاقِهِ وَدُونَ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَهَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَفُونَا
بِإِقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَامِهِمْ . فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا . وَالْإِنَّةُ
الْوَاصِلَةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَابِعَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ ثَابِعَهُمْ . فَبِأَيِّ طَرِيقٍ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجَلِي وَرَمَانِي . هَلْ بَايَعْتَنِي بِمُسَامَحَةٍ .
وَتَرَكْتَ لِي الِالرَّابِعَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دَيْنٌ . أَوْ عَامَلْتَنِي نَسِيئَةً دُونَ عَيْنٍ .
أَلَكْ عَلَيَّ جَمِيلَةٌ . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَقْضِي تَنَاوُلَ مَالِي .
وَالْهُجُومَ عَلَى مَلِكِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَعْزِضْ مِنْ رُفْقَانِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلامِ . وَاعْتَدَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ . فَأَوْتَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً . وَهُوَ عَلَى
الْخَلَاعَةِ . مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَغَامَزَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ . عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ . وَالْفَاضِلُ النَّبِيُّ . أَنْتَ مُنْفِي الْمُسْلِمِينَ .
وَعَالِمٌ بِمِنْهَاجِ الدِّينِ . عَلَى فِتْوَاكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . بِفِتْوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءُ . فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْأَدْخُولِ فِي هَذَا
الْحِمَى . أَفْتَسِنِي يَا عَالِمَ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ الثُّغْمَانِ .
أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ . فَبُحْ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بِأَلَكْ تَعِثُ
وَتَعْبَثُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجُهْلَاءِ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا ارْتَكَبَ مِثْلَكَ هَذَا الْمَخْطُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءَ
وَالْمُقْتُونَ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيْبِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيْهِ .
فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآلَمَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَنْجَدَ بِصَاحِبِهِ . إِلَى جَانِبِهِ . فَمَا أَنْجَدَاهُ .
وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَاسَ يُلَاهِي . الْخُنْدِيُّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
الشَّرِيفِ . ذِي اللَّسَبِ الظَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
النَّجِيبُ . الْمَجِيدُ الْحَسِيبُ . لَا تَغْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَشْقِلْ مَلَامِي .
أَمَّا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ خَطِيرٌ . لَهُ الْجَيِّبَةُ النَّائِمَةُ .
وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا اللَّسَبِ أَطَاهِرٌ . وَالْأَصْلُ النَّاهِرُ .
وَالْفَضْلُ الزَّاهِرُ . أَسْلَفَكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ . فِي الدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَخُلُ
لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ . لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ
إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَغْطِبِ الْخُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخُنْدِيُّ
وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
لِنَفْسِهِ أَحْيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا . وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
الْجِيرَانَ . وَاسْتَعَانَ بِالْجَلَّازَةِ وَأَصْحَابِ الدَّرِيَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ .
وَعَمَلَتْهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ . إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
رَخِيسٍ . وَغَالٍ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى لِمَعْلُوسِ أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
التَّنْفِيذَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيذِ . أَمْرٌ مِنَ التَّهَامِ فِي تَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ
وَالْإِحْكَامِ التَّنْفِيذِ

الْبَابُ السَّابِعُ
فِي الْقَضَائِلِ وَالرَّذَائِلِ

الصَّبْرُ

٩٣ يُقَالُ أَوْ كَدُ الْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ الشَّجَرِ فِي الْحَرَائِجِ. فَمَنْ
وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا. وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفًّا
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِنُّهُ وَلَكِنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُنْهَجِ:
الصَّبْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحُجْرِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعِ النَّصْرَ
(لِلْمَقْدِسِيِّ)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا اسْتَمَلْتُ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ لِي بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَوَاطَأَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتْ وَأَرَسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الطُّلُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُصْرٍ مِنْهُ غَوْتُ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْعَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَمَرُصُولُ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنْ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ:

هُمَا حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءُ وَسَجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءُ
وَأَلْفَتِي الْعَادِثُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخُنْهُ الْمَرَاءُ
إِنْ أَلَمْتُ مُلِمَّةٌ بِي فَأَنِي فِي الْمُلَمَّاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ

حَازِرِي الْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ مَ يَدُومُ التَّعِيمُ وَالْبَلَاءُ
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَأِنِّي لِأَغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى
وَأِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقُ
وَكَمْ مِنْ فَتَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غِيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بِذِلَّةٍ
وَجَاءَ لِآخَرٍ فِي مَعْنَاهُ :

إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاطِلُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٌ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نَوْبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يُكْسَفُ النُّجُومُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِتَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَابْتَهِجْ

وَأَرْجُ إِذَا أَشْتَدَّ هَمُّ فَازِلَةٍ فَآخِرُ أَلْهَمٍ أَوَّلُ الْقَرْجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فَيَا أَلَلَّاهُ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرِفِ الْحُرُّ
وَإِنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَانْتَدِبْ جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقِ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا فَلَيْسَ بِخَيْرٍ أَنْ يُرْوَعَكَ الصَّرُّ
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا يَدُومُ كِلَا الْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرٌ
تَقَلُّبُ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَانِمٍ لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُرُّ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِبَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ التَّوَهُُّ تَأْتِي حُطُوبُهُ وَيُعْرِفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ مُنَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ أَصْطَبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَوْتَجِيهِ مُنَاهُ
قَالَ التَّرَارُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَبِالْجَلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسْرِعِ وَالشَّمِ
وَالْجَلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغْبَةَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشْمَسَ مِنْ ظَلْمِ

القناعة

١٨ إَعْلَمَنَّ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَةُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْدَارِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَ الْخَلْقِ

بَلَاءَ وَالْمَا الْفُقَرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسُ تَعْبًا وَمَهْمًا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
وَالْكُبَرَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَيْءٍ قَامَةٌ مِنْ أَلْهَمَ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَبِيتُ هِمَّتِي بِالْحُمُولِ وَصَدْتُ عَنِ الرُّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهِلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَلَكِنَّهَا تُؤْثِرُ الْعَافِيَةَ
وَطَلَمَا رَضِيتَ الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ . بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
فَارْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ . وَاشْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ
طَوْلَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَأَعْتَبْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْمَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَذَدِيرًا وَفُطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَيْحِثُ كَانَ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطِرِي حَيْثُ يَشْتَرِ فَإِنَّ حَرَّاجَ الْأَرْضِ الَّتِي تُنْمِرُنِي
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ اتَّبَعَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
(الاعلام لقطب الدين النهروالي)

وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا

٩٩ وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كَلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ

إِذَا اسْتَفْتَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَادَنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عَزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
 أَلَا أَجْعَلُهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ تَتَلَّ مِنْ بَعْدِهَا التَّقْوَى بِضَاعَهُ
 قَالَ أَبُو الْقَتَاهِيَةِ :

غَفَى النَّفْسَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغَفَى قَتْرًا
 قَالَ غَيْرُهُ يُنَاجِي نَفْسَهُ :

يَا أَحْمَدُ أَقْنَعْ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ تَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكَمُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
 احْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُبْعِدُ الْحُجَابَ .
 وَيُزِيحُ الْبُورَابَ . لِيَجِيَّ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْبَسَاطِ
 وَيُخَاطِبُهُ وَيَعُودُ مُقْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
 الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
 مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
 وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
 أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجَنَّفْتُ . أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَتَّصَفْتُ . أَنَا
 أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَاتَّغَيَّرَ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيُّ
 الْيَتِيمَةِ . جَمِيلِ الطَّوْرِ . لَا حَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ . وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلَفَ فَارِسٌ مُعْتَدِينَ بِالسِّلَاحِ مُقَنَّنِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِدَكَةِ ذَلِكَ الْعَدْلِ
وَالْإِنْصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَانِهِ
قَالَ شَاعِرٌ :

الْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْحِمُ
الْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّغْيِيرُ مُسْتَعٍ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْمِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَشْكَوْهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكَبُ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ . فَكَتَبَتْ رُفْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ : مَلَكْتُكُمْ فَفَسَرْتُكُمْ . وَقَدَرْتُكُمْ فَفَهَرْتُكُمْ . وَخَوَّلْتُكُمْ
فَفَسَقْتُكُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَفَقَطَعْتُكُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سِهَامَ
الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّامًا مِنْ قُلُوبِ أَجْعَثُوهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرِيَتْموهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّ بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُظْلَمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

(لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ اللَّهَ عَالِيُّ قَالَ : إِسْتَشْهَدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيِّ بْنِ
عِيْسَى صَاحِبَةَ بَغْيٍ حَقًّا فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْنِي عَلَى نَكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ فِي سَهَادَةِ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا اتِّفَاقَ عَلَى
نِفَاقِهِ . وَلَا وَفَاءَ لِذِي مَيْمَنَةٍ وَأَخِيْلَاقِهِ . وَأَحْرِ بِمَنْ تَعْدَى الْحَقَّ فِي

مَسَرَّتَكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَكَأَنَّ
الْمُتَنَبِّئَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ: تَنَافَسُوا فِي الْمَغَافِرِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ . وَاكْتَسِبُوا بِالْجُودِ حَنْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذِمًّا . وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعْجَلُوهُ . وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَانِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعُودَ نِقْمًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَوْا وَانْقَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكَرَامَاتُ
وَحَلَفُونِي فِي قَوْمٍ ذِي سَفَرٍ لَوْ عَايَنُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكَرَى مَا تَوَا
١٠٤ وَقَالَ آخَرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْدَلْ مَا لِي مَدَى خُلَّتِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْبَسُ الْمَالُ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرَتْ مِيَّ عَلَيَّ تَلُومُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكَتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ الْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَالْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مَا يَدَعُ
كَدُودَةَ الْقَرِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرِ لَا يُوَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دَوْدُ الْقَرْنِ يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ فَالْمِجْهَ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَةَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَانِحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (لِلْحَمَوِيِّ)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتُ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَفْعٌ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبُ
وَلَا قَتْلَ قَتْلٍ لَا تَسْتَرِخْ وَتُخْرِجْ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدِ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا فَالْمَطْلُ يَذْهَبُ بِهَجَّةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ جُمِعَ الْأَفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالْإِسْتِخَارَةِ وَثَنَى بِالْإِسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ . أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السَّبَاحِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَمِيرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ قَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :
نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جَدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبِدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيجٍ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِمَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمِضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْحُلُ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ أَلْقَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَفْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنَى ضَيْعَمٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيْشِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَحْمِلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيْشُ الْخَوَافِي تَابِعُ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَوْ خَيْرُهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ

قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 أَمَيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٍ يَفُورُ بِشَرَّتِهِ . أَوْ خَطَأٍ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَاسْتِشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَخَزْمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أَخْطِئَ وَقَدْ اسْتَشِرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لأبي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرُ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 قَالَعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَايَ وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِعِرَاقَةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تَشَاوَرَهُ ثَلَاثُ فَخِذُ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٍ وَوُفُورُ عَقْلِ وَمَعْرِفَةُ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالْزَمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤِيَّ :

فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ يُؤْتِيكَ نُضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُضْحَهُ بِلَيْسَبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ يَنْصِيبُ

لِلْحَسَدِ

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَحَقُّ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّتْرِ

مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَدَبَّرُ نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدُهُ غِبْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حَيْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْتَقِرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوُّمُنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعَكَ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحْمَ الْهَلَكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ إِنْ أَنَا لَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْعَرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقْدِرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَفْ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَيْلِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ
وَيَكْثُرُ الْهَمُّ . وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّةَ :

أَيَارَبُ إِنْ النَّاسَ لَا يُصِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَذَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتَمُونِي

وَأِنْ طَرَقْتَنِي نِعْمَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
 سَأْمَنْعُ قَلْبِي أَنْ يَحْنَنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَظْرِي وَجُفُونِي
 كَتَبَ ابْنُ بَشْرِ الْمُرُوزِيِّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :
 كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَّى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
 فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغَدًا بَلَا قَتَرَ صَفَوْا بِلَا رَتَقٍ
 خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غُلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِغُلٌ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
 (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
 إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُجْتَهِدُ
 وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :
 لَا يُخْزِنَنَّكَ فَقْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
 فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ أَلْهَمَ وَالْتِكَادَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَتَّبِعِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
 الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطْهَرُ الْمَصْلَحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَرَى الْكَلَامَ وَتَرَكَهُ
 فِي الْمَصْلَحَةِ فَالْسُّنَةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يُجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءَ
تِسْعَةٍ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي غُزَلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَفَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتَبَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ . لَا غَمَدَتَّ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحَسَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا .
يَقُولُ اللِّسَانُ كُلُّ صَبَاحٍ وَكُلُّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتُمْ . فَيَقْلُنَ
بُخَيْرٌ إِنْ تَرَكْتَنَا

(للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مُمْتَوٍ
مَا زِلْ دُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَوْتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتُ
١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ
أَوْعَالِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقَلَّتْ مِنْهُ
نَفْعٌ . وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنْهُ صَدَعٌ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَعُهُ مِنَ وَخْرِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ . وَآخَرُهُ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْقُلُوبَ مَزَارِعُ فَأَزْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْوَةُ مُطِيقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَثَقَ
 اللَّهُ وَلَا تَطْلُقْ هَذَا الْحَبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (لِلشِّبْرَاوِيِّ)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ قَالِمٌ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطِبُ
 وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثَرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ مُخْطَبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

يَحْنُ اللِّسَانُ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا أُسْتَنْصَالُ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عَقَالُهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُيُونٍ الْحِجَبِيُّ :

رُذِّهِ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ وَأَرْغَبِ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَنْبِيكَ وَأَطْرِحِ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَتَمَانَ السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُنْسِكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرٌ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسُ شَرَّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَاهُمْ عَقْلُهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْإِسْتِبْدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِطَبِيعِ
الْمُشَارَكَةِ (للسَّيرِاوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى السِّرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسِيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ إِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي
١١٢ (فِي التَّاجِ) أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضُ .
فَإِنْ إِفْشَاءُ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى أَثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءُهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ أَثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمُعَارِضُ فَإِنْ عَاقِبَهُمَا عَاقِبَ أَثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أَتَاهُمَا أَتَاهُمْ بَرِيئًا بِخِيَانَةِ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
لَا تَهْتِكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فِيهِتَكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مُحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكُرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لابن عبد ربّه)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّقِيقُ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتَهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عِلْمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَمَّنْ أَوَدَّهُ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لَا تُطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْلَ هَازِ غِيَابِ مَشَاءِ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُقُوطُهُ وَضَنْتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُعْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِنُ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيَّاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلُّ شَغَازٍ . مَلْعُونُ كُلُّ قَتَاتٍ . مَلْعُونُ
كُلِّ نَمَامٍ . مَلْعُونُ كُلِّ مَنَانٍ (وَالشَّغَازُ الْمُحْرِشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقَى
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَالْأَصُوصِ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تُقَطَّعُ الشَّجَرَةُ فَتَنْبُتُ

وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ. وَاللَّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ. قَالَ صَالِحُ
ابْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَحُّ أَمْ عَلَى غَشٍّ يُجَاجِنِي
إِنِّي لَا أَكْثِرُ مِمَّا سَمِعْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَمَقْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَأَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفِ لِسَانَكَ عَنْ شَتْمِي وَتَرْيِينِي
١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ: التَّيْمَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا. وَلَا
عِدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا. ثُمَّ لَا بَدْءَ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ. وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ:
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَقْضُهُ وَأَلْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ: الْكُذْبُ شِعَارُ الْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاخْتِلَافُ
الْبُنْيَةِ. وَعَنْ خَمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَنِيهِ وَسَمِعَهُ
بِكُذْبٍ: يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْنِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ. فَالَا تَأْمَ لَهُ عَادَةٌ. وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَقَّ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالْدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لَابَنُ عَبْدِ رَبِّهِ)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا ضَمَّكَ الْكَذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكَذُوبُ تَخَلُّفًا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرًا بِكَلَامِهِ وَبَصْمَتِهِ وَبُكَائِهِ وَبِضْحِكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِبَنِي الْقُرَيْيَةِ : مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ
تَكْرَهُ الْمُزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمُزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحُّ . الْمُزَاحُ نَقَاضُ السُّفْهَاءِ
كَالسُّعْرِ نَقَاضُ الشُّعْرَاءِ . وَالْمُزَاحُ يُغْرِ صَدْرَ الصَّدِيقِ . وَيَنْفِرُ
الرَّفِيقَ . وَالْمُزَاحُ يُبْذِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمُزَاحُ يُسْقِطُ
الْمُرُوءَةَ . وَيُبْذِي الْحَقِّي . لَمْ يَجِرَّ الْمُزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الْعَلَابُ بِالْمُزَاحِ وَارْتِ . وَالْمَغْلُوبُ بِهِ نَارٌ . وَالْمُزَاحُ يُجْلِبُ الشَّمَّ صَغِيرَهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرَهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدُ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحُجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٍ . وَذَكَرَ الْمُزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُنْتَفِ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدِلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

المرجل . ويزميه مثل الجندل . ثم يقول : إنما كنت أزعج . أخذ هذه
اللعني محمود بن الحسن الوراق فقال :

تلقى ألقى يلتقي أخاه وخدنه في حن منطقه بما لا يقفر
ويقول كنت مزارحاً وملاعباً هيات نارك في الحشى تسعر
أوما علمت وكان جهلك غالباً أن المزاح هو السباب الأصغر
(للقيرواني)

الصدقة وخلوص المودة

١١٧ (قيل في المبعج) : الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث
العينين . (ومنه) الصديق الصدوق . كالشقيق الشفوق . (ومنه)
الصديق عمدة الصديق وعدته . ونصرته وعمدته . وربيعة وزهرته .
ومشتريه وزهرته . ومنه لقاء الحليل شفاء الغليل . وليس للصديق
إذا حضر عديل . ولا عنه إذا غاب بديل . ومثل الصديقين . كاليد
تستعين باليد والعين بالعين . (ومنه) لقاء الصديق روح الحياة .
وفراقه سم الممات . (ومنه) لا تساغ مرارة الأوقات . إلا بحلاوة
الإخوان الثقات . فاستروح من غمة الزمان بموانسة الخلان . (ومنه)
الحاجة إلى الآخر المعين . كالحاجة إلى الماء المعين . ولبعضهم في
معنى هذا الباب :

ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن يصلح من شأنه
فإنما الدنيا يسكنها وإنما المرء بإخوانه

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٍ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَبَغَّى شَمَائِلُهَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلَّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْمَاقٍ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
وَعُقْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةِ الْمُجُنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمُأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَقِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَدِي مِنْ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَالِي وَلَا إِنْ صِرْتُ طُوعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَمُشْتَقٌّ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ
فَسَمِعَ الْمُأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغَنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظِرُّهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : أَدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ الْخُلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّابِ
(لباء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمِرِّ وَأَيُّ الشَّرِيكِ فِي الْمُرِّ أَتَيْنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَمِيِّ وَإِنْ غَيْبَتْ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبَتْ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَاءِ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمِينًا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ
فَيْشَرُ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ صَدِيقُ عَلِيٍّ طُولَ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَفَأَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَقَا الْمُلُوكُ مِنَ الْحَالِ
مَا لِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرُ فِقَلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَالَلٍ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ الثَّقَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِهِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فِيمِثْلٍ ذَا ثِكْلِكَ أَمْكَ تَبْتَنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ
 ١٢٢ قَالَ الْعَزْزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُكْرَهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يَسْرِ
 مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالرَّحِيبِ وَالْبَشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَلْسِي الْغَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٍ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 قَارِضٍ بِإِحْمَالٍ مَوَدَّةٍ مِنْ يَثْقِي الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمُثْرَى
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْلُطُنَّهُمْ غَيْرَهُمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانَ بِالْصَفْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمُنَوِيُّ :

أَتَرَعُمُ أَنَّكَ الْحِذْنُ الْمَفْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٌ مِنْ أَصَادِقِهِ خُفًّا
 وَجَانِبٌ مِنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبَقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَبِرْضِكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا لَمْ تُرَاعِضْ
 ١٢٣ قَالَ الْعَتَابِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرُعُ بَائِسٍ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفَرْعِهِ . وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْقَرْعُ الْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَأَخَاهُ بُنِيَ عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحَفِظَ عَلَى زِمَامِ الصَّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَأَخَاهُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَغْصَانُهُ الثَّقَوَى . وَأَمَّا الْقَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَأَلْمَوْهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ :

وَخَلِيلٌ لَمْ أَخْضِهِ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي ثِقَتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَرَّ الْبَغْضِ بِالْقَاطِطِ الْهَوَى وَادَّعَى الْوَدَّ بَغْضٍ وَدَلَسَ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسَ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنْ خَانَهُ قَدَرُ أَيَقْظَ مَنْ كَانَ نَعَسَ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٌ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نِيْطَتْ إِلَى عَضْدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عَقْدِي
أَعْرَضَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَدْرِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تُرَقِّهَا
وَتَحَرَّسَهَا مَعْرِضَةٌ لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْآلِيَّ بِالْجَدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَعْتَذِرَ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكَثِّرَ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّصْصِيرِ. (وَلِخَمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرِ اعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْكَ كَمَادَتِهِ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَغْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَاصِلُ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاثٌ وَوَدٌّ لَا تُخَوِّنُهُ أَلْيَالِي
وَأَوْرُهُ عَلَى غُسْرِ وَيُسْرِ وَيُنْفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَ الْإِذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أَلْغَدُرُ الْمَذْمُومَ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتَهُمْ دُرُوعًا فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَحَلَّتْهُمْ سِهَامًا صَابِئَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَّقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَّقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ
١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحَى أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
قَلَمَ تُرِنِي إِلَّا يَوْمَ خِلَا تَسْرِنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَخْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِثْمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُتَنَظَّرٌ
يُوعَدُ لَا يُكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْعُتْبَانِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَزْبَقَ فَلْيَكُنْ وَبَلَهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ تَسْلَبَانِ الْقَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرِّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبَرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَخَامَى الْكِبَرُ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ أَفْخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدَتْ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبَرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تِيحَانَ السَّالَطِينَ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعُلَيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِضْغِ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَى وَأَكْظِمِ الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِ الصُّجْرَ
وَأَجْمِلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَلْفَقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
إِجْمَلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَا وَالْأَدَبِ

في العقل وماهيته

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمُعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْمَحْسُوسَاتِ بِالْمُشَاهَدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خَلًّا يَغْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ فَنٌ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْخُنُونُ فُنُونُ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُوَّةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوَاءٌ مَنْ رَكَبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ . مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مِنْ صَاحِبِ الْعُلَمَاءِ
 وَقَرَّ . وَمِنْ عَاشِرِ السُّقْمَاءِ حَقَرَّ . مَنْ لَمْ يَتَمَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاةُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُذْرِكِ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزِيذٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للسُّبْرَاوِي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَانِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِخْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ لَكُوكِبِي
 أَفْقِي يُزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضًّا أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطْوَهُمَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَمَرِي أَفْقِي وَفَرَعِي بِشَامَةِ يَزِينُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَمُحَمَّدُ
 سَلِيلِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثَ مَا أَتَقَى أَبُوكَ الْمُؤَيَّدُ
 يَسُدُّانِ أَنْفَاقَ النَّفَاقِ بِشِمَةِ يَزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مِنْهُدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّلَّالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا السُّنَا. وَلَا أَحْسَنَ الْقَاطِلَا.
وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمْعًا. فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي. ثُمَّ صَمَّمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ.
فَلَمْ يَسْطُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمُوعَ تَحْدَرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثَالِ أَكْثَفُ :
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ :
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ :
وَقَدَرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ :
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ :
فَقَدْ يَعْلَمُ تَعَشُّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا :
١٣٣ :
إِعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ الْعِزُّ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدَرُهُ
عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ حَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْمَحْمُودُ مِنْ عَقْلًا :
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ :
وَالْجَاهِلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا :
١٣٤ :
ثُمَّ أَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا رَبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَذْهَبَتْ

عَنِ الْعَالَمِ بِالْإِسْتِحْقَاقِ . فَإِنْ أَتَاكَ مِنْهَا مُلِمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكْنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ كَمَنْ أَسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَمُجِّنُ إِلَى الثَّقَلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرُقَى إِلَى الْفَلَاحِ
فَإِنَّمَا الذَّهَبُ الْإِزْيُزُ مُخْتَلِطٌ بِالْثَرِبِ إِذَا صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بغيرِ
عَقْلِ . وَلَا بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّاهَا بغيرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبُ مِنْهَا . فَيَنْحَطُّ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عِيُوبُهُ .
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَتَعَدَّنْ عَنْ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْقَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْأَيَّامِ

(لشبراوي)

١٣٦ سَمِعَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطْنُ . وَمِلَالُ مَا عَلَن . وَسَائِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضِرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
يَذِينَ أُلْقِيَ فِي النَّاسِ صِيحَةُ عَقْلِهِ
وَشَيْنُ أُلْقِيَ فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِبُهُ
وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَةٌ فَخَرٌّ مَنْ تَسَرَّبَ لَهَا
وَأَلْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجَدُّهُمُ أَذْكَى مِنَ الْبُصْرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أُنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
فَلْيُذِكِّي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
فَفِي إِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمْ مَا نُورُ
وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَشْهُورُ
(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لِيَثْقَالَ ذَرَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَلْفَعَامٍ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقَرَأْنِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا بِي نَصْرَ الْمَقْدِسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَخِي بِهِ فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا لَفَرَاقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَغْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ فَاحْذَرَنَّ تَدَنُّسَهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفٍ
الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعُلَمَاءِ مَا أَمَكَّنَ وَلَا يَعْذَرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنْ الْجَهْلَالَةِ أَنْ تُعْظِمَ جَاهِلًا لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَقْشِهِ
وَأَعْلَمَ أَنَّ التَّبَرُّ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بَنَشِهِ
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكْمِهِ لَا مِنْ مَلَا حَةِ نَقْشِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّعَلُّمَ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ . مَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
 مَاضٍ تَمَسَّ الصُّحْيُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةً . أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
 ١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ أَلْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ
 أَلْمَالُ . وَأَلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَأَلْمَالٌ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَأَلْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَأَلْمَالُ
 يَنْقُصُ بِالتَّقَنُّعِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
 أَلْعِلْمِ وَأَلْمَلِكِ وَأَلْمَالِ . فَأَخْتَارَ أَلْعِلْمَ فَأَعْطِيَ أَلْمَلِكُ وَأَلْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
 أَلْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ أَلْعِلْمُ بِكَثْرَةِ أَلرَّوَايَةِ إِنَّمَا أَلْعِلْمُ نُورٌ
 يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَفَقِيهِ جَلَالُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَنَمٌ
 فَخَالَطُوا رَوَاةَ أَلْعِلْمِ وَأَصْحَابَ خِيَارِهِمْ فَصُنِّبَتْهُمْ زَيْنٌ وَخُلِطَتْهُمْ غَنَمٌ
 وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجُومٌ هُدًى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَأَتْ نَجْمٌ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا أَلْعِلْمُ مَا اتَّضَعَ أَلْهُدًى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَارَتِهِمْ
 ١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ أَلْعِلْمَ
 فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
 سَمِعْتُ وَكَيْعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
 وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ هُوَ مَانٌ
 لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ أَلْعِلْمِ وَطَالِبُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ
 أَلْعِلْمٍ فَيَزِدُّ دَادُ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدُّ دَادُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمَنَى
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكْ غَافِلًا
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ
وَالْعِلْمُ أَجَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لَا لِئْسَهُ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ
وَإِنْ أَمَرْنَا لَمْ يُنْجِي بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مَجْدٍ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاضِلٌ
يُسَاقِ بِغُضِّ النَّاسِ بَعْضًا بِجُدِّهِمْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِدِي الْعِلْمِ وَالْحُجِّي
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرُهُ
وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ
إِغْنَمَ جَنَى غَرَسِهِ تَحْطَ بِنَيْلِ مُنَى
١٤٣ قَالَ أَلْمَاهِيَا بَايَ مُغْرِيَا بِتَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

مَا سَاعِيًا وَطَلَابُ أَلْمَالِ هِمَّتُهُ
إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَعْبُودٍ
 الْعِلْمُ يُجِدِّي وَيُنْقِي لِقَتَى أَبَدًا وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجَدَى إِلَى حِينِ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا شَدَّ مَا الْبُعْدُ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ حَلَقْتَ أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 فَالْمِسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَتَّنًا يَفْهَرُ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيُّ :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدًى فَنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبَا
 كَمْ سَيِّدٍ بَطُلَ آبَاؤُهُ نُجُبٌ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذُنُبَا
 وَمُشْرِفٍ حَامِلِ آلَاءِ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمُعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
 الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبَا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصٌ ثُمَّ يُخْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرْبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْقَوْتُ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذَّخْرِ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا طَلَبَ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهَوُ بِهِ شَرَفَا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِالْغَبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ وَيَقْتَضِ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلاَ أَدَبٍ
وَالْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
فَالْعِلْمُ فَاطِبُ لِكَيْ يُجَدِّدَ جَوْهَرَهُ
كَالْقُوْتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى الذَّهَبِ
قَالَ آخِرُ :

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَعَلَّمَ مَا اسْتَطَعَتْ بِحَيْثُ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنُ الرِّجَالِ
لَإِنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْعُقْبَى تَنَالٌ بِهِ الْمَعَالِي
قَالَ آخِرُ :

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
إِذْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقًا بِاللَّهِ وَأَعْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيمًا رَزِينًا الْعَقْلُ مُحْتَرِسًا
وَكُنْ فَتًى مَا سَكَ مُحَضَّرًا اتَّقِ وَرِعًا لِلدِّينِ مُتَعَتِمًا فِي الْعِلْمِ مُنْعَمًا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْآدَابِ ظَلَّ بِهَا رَئِيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤَسَا
وصف الكتاب

١٤٥ الْكِتَابُ نِعَمٌ الْإِنْسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمُ الْعِرْقَةُ فِي
دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمُ الْقَرِينُ وَالْدَّخِيلُ . وَنِعَمُ الزَّائِرُ وَالزَّيْلُ . وَعَالِمُ
عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مُلَى . زَرْحًا وَجَدًا . وَحَبْدًا بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ
وَرَوْضٌ يُقَلَّبُ فِي حِجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي . وَزَهْرٍ لَا يُبْوِي .
 وَثَمَرٍ لَا يَقْنِي . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ . وَخِلَافَهُ وَالْجُلُوسَ وَضِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتِ وَيُترِجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْزَبْ . أَكْتَمْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْتُمْ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الصُّحَى . وَأَنْطَقُ مِنْ سَحَابٍ وَإِلَى
 وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمَ تَحَلِّي بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافَ عَدِيدَةٍ .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُؤَنَانِي هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعْظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلْهَى
 أَمْتَعَ . وَإِنْ أَنْبَى أَدْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَرِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَرَحَ فَزَهْرَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَمَخْزِنُ الْوَدَائِعِ قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمُؤَنَسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْجِبُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةِ مَوَاقِفِهِ وَخَفَةِ مَحْمَلِهِ . لَا يَزُولُكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعِمَ الْمُدَّخِرُ وَالْعُدَّةُ . وَالْمُسْتَغْلُ وَالْحَرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِكُ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 أَمَاتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَخَذَ طِبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ الْقَاطَكَ . إِنْ أَلْفَتْهُ خَلْدٌ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذَكَرَكَ . وَإِنْ دَرَسَتْهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَتْهُ نَوَّهَ عَنْهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكِ فَاتَّكِرَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الكنز المذفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ اخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيُسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوالِيهِ كُتُبٌ وَهُوَ يَطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِثُهُمْ فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيًّا وَمَشْهُدًا
 يُفِيدُونَ نَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمٌ مَاضِي وَرَأْيَا وَتَأْدِيًّا وَمَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ قَالُوا تَعْدُ أَمْرُهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ قُلْتَ مُفْسَدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأَخُّرُ
 ١٤٧ طَلَبَ الْمُكْتَفِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمِطَاطِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى النَّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرْضِهِ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . قَدْ حَصَلْتُمْ لَهُ مَا يُعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيُعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِّلُوْا لَهُ كُتُبَافِهَا حِكَايَاتُ تَلَاهِيهِ وَأَشْعَارُ تَطْرِبِهِ (للفخري)
قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْأَسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكَتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
الْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْقَارُ يُخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا
في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَهِيَ قَالَ الْجَاهِظُ : الْبَيَانُ أَنْ تَمَّ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الْلَفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى . وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرُو بْنَ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيعَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتُهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يَمَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلِّكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِقُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظْمٍ بَعَثَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدُّرُ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدَفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْأَحْتِرَازِ عَنِ الْإِيْجَازِ الْخِلِّ. وَالتَّطْوِيلِ الْمُمِلِّ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ. وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَعَ الْأَبْنُ
 إِذَا اخَذَتْ عَنْهُ الرُّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبَلْغَاءُ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيَزْعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْقَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَافِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظَّمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابشيحي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدْبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلَامِ أُمَرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ
 السَّلَفِ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْحَالِسُ وَتُسْتَحْيَجُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السَّخَائِمُ. وَيُقَالُ: الْمَدْحُ مَهْرَةُ الْبُكَرَامِ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ بَرِّ أَوْلَادِ الدِّينِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصِفِ الشُّعْرَاءَ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ: الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ السَّيْحَرُ الْحَلَالُ. وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ. إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ. وَكَانَ يُقَالُ: النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ. وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّفْسِ فِي الْحَجَرِ. وَقِيلَ لِحِمْزَةِ بَنِي يَتِصُ:
 مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ. قَالَ. مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ. وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ. وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ. وَإِذَا هَجَا وَضَعَ. وَقَالَ دَعْبُلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
 الشُّعْرَاءِ: إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: كَذَابٌ. إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ لِيُسْتَحْسَنَ كَذِبُهُ. وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ. ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ: أَحْسَنْتَ. (وَفِيهِ) إِنْ الرَّجُلُ الْمَلِكُ أَوْ
 السُّوْقَةُ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَّابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يَعْلِمَهُ الشَّعْرَ. لِأَنَّهُ
 تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْمَجَالِسِ. وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتُعْرَفُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَسَائِنُهَا فَتَذَمُّ وَتُحَمِّدُ وَتُهْجَى وَتُمدَحُ. وَأَيُّ شَرَفٍ أَتَى مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ. (وَفِيهِ) إِنْ أَمْرًا الْقَيْسِ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ. وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ.
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ. وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ. وَقَالَ: أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُغَاةَ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ:

أَرَى الشَّعْرَ يُخَيِّجِي الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطَرَاتُ
 وَمَا الْمَجْدُ لَوْ لَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ فُخْرَاتُ

١٥١ (فَصَلِّ لِأَبِي بَكْرٍ الْخَوَّارِ زَيْي جَامِعٍ يَلْدَحُ الشُّعْرَاءَ) مَا ظَنُّكَ
 بِقَوْمٍ إِلَّا قِصَارُ مَحْمُودٍ إِلَّا مِنْهُمْ. وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ.
 إِذَا ذَمُّوا ثَلَمُوا. وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا. وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ.
 وَإِذَا غَضِبُوا وَضَعُوا الرَّفِيعَ. وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبِيرِ لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ. وَلَمْ تَمُدَّ إِلَيْهِمُ بِالْعُقُوبَةِ يَدٌ. غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ. وَفَقِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحَقُّ. وَشَيْخُهُمْ يُوقَرُ. وَشَابُهُمْ لَا يُسْتَصَغَرُ. سِهَامُهُمْ تَنْقُذُ فِي
 الْأَعْرَاضِ. وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجَلٌ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ. وَسَمَائِرَةُ
 النَّقْصِ وَالْكَمَالِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ اسْتَمْتَحَنُوا نَاطِقُ الْفَضْلِ. وَأَسْمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُسْتَقٌ مِنَ الْعَقْلِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ.
 يُقَصِّرُونَ طَوِيلَهُ. وَيُطَوِّلُونَ قَصِيرَهُ. يُقَصِّرُونَ تَمْدُودَهُ. وَيُحْفَفُونَ
 ثَقِيلَهُ. وَلَمْ لَا أَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهِيمُونَ

(لأبي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ: مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا. فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَسْعُ وَتَرْدَادُ
 عِظَمًا. وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا. أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بِنْدِهِ فَقَالَ لَهُمْ:
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ جَوَاهِرِ طَبِيعَةٍ وَأَنْفُسِهَا قِيَمَةٌ. يَرْفَعُ الْأَحْسَابَ الْوَضِيعَةَ.

وَيُفِيدُ الرِّغَابَ الْجَلِيلَةَ . وَيُغْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارُ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَالْبَسُوهُ حُلَّةً . وَتَرَيُوا بِهِ حُلِيَّةً . يُوَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشُدْ الْأَصْمَعِي :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَدِيثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلِطًا بِالتَّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَرْزَجَمِيرُ : مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاؤُ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمْالًا وَبِالْجَهْلِ يُتْلَفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبُ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَأِنْ قَلُّوا . وَمَحَلُّ الْأَنْسِ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَلَّمْهُ
تَجِدَهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيرٌ أَنْقِطَاعُهُ
وَأَنْقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خَمُولٍ وَذُبُولٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ زَوَالِ الْمَالِ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : حُلِيَّةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

سُت. قَالَ بُذِرْ جَهْرُ: مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ. كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِعَاءً. وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا. وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا. وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا. وَقَالُوا: الْأَدَبُ أَدْبَانُ أَدَبُ الْقَرِيزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ. وَلَا يَتَفَرَّغُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ. وَلَا يَنْفُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَبِيبٌ فَأَحْسَنَ
وَمَا السِّيفُ إِلَّا زَبْرَةٌ لَوْ تَرَكَتُهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ:

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هِيَ كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فَقِدَا فَقَدَهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ الطَّاهِرِ أَلْبَسَتْ تَأْدِيبُهُ بِأَدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:
رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعْدِيهِمْ عِنْدَ الْقَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَآلِهِ لَكَ
قَالَ غَيْرُهُ:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ. وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ. بِالْعَقْلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرٍ.
وَبِالْحِلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَنِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصِّغَرِ كَمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مَثَلُ الْأَدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُقُوفَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسَّرِيرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَخَّ الصَّغَارُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الْأَدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلْحَقَ
بِالْأَدَابِ وَالرُّسُومِ أَمْسَتْحَسَنَةً . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمَ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسَكِينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِينِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنْ
الْبَطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهَمًا شَرِهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الِإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضِيفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغَنَى
وَبَسْطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى . قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنُّ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ . وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدَيُّوِي هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَاتٍ فَقَالَ :

إِذَا الْمُرءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمْتَهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْنَ سَالِفٍ مُتَقَدِّمٍ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمُرءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ : تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُوَاكَلَةِ . وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ التَّزَلُّ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرَجِيبِ حَتَّى خِلْتَنِي ضَيْفًا لَهُ وَالضُّيُفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ :

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ مَخْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ :

وَأَنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ رُؤُوسِهِ وَلَنُشِيعُهُ بِالْإِشْرَافِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكٍ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضِيفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامُ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمُ
 عِنْدَ وَدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضِيفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يُنْقِصَ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْتَسِرَ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرَ نَكَدًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورُ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَّ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضِيفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُضَيُّ سِرَاجَ لَا يَضِيءُ
 وَرَسُولٌ بَطِيءٌ . وَمَا يَدُهُ يَنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَحْيِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشِيعَ
 الْمُضِيفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (اللابشيحي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا أُسْتَكْمِلَ عَقْلُ أَمْرٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ : الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيبُهُ مِنَ
 الدُّنْيَا الْقَوْتُ . وَالذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى .
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرُ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلُ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ عُمْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَلْبَابُ النَّاسِ
فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حَكِيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ النَّائِبُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِلشَّعْرِ فَوَجَدْتُهُ يَقَطِّرُ دُهْنًا
عَلَى خَنْصَرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعَ حَلَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلَقَةَ وَأَنشَدَ بِدِيهَا :
قَصَّرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنْ أَلْبَجْرُ لَهُ رَاحَةٌ يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْحَاتِمُ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلَقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حَجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بِدِيهَا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرٍ تَخْطِي لَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجِبُ بِهِ إِذَا بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ
فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْإِسْتِحْسَانِ (بدائع البداهة للازدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ أُلُورَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَذْهَبُ بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مَحَالًا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

الحجاج والفقيه

١٦٢ أَمْرَ الْحَجَّاجِ صَاحِبِ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ فَمَنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْعِشَاءِ سَكْرَانًا ضَرَبَ عُنُقَهُ . فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ
يَتِمَّلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ . فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْعُلَمَانُ وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِمِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدرُهُ وَإِنْ تَرَلْتَ مَا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَلْشَدَّ عَلَى الْبَدِيَّةِ :
 أَنَا ابْنُ لِمَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرُكْبَاهُ لَا يَتَفَكُّ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْحَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ
 فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَيْضًا وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَتَجْعَلُ الْعَرَبَ وَاحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حُجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ فَوَّالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَائِكَ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحُلَسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغُلَامٍ
 لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قُرْطَبَةَ . فَحَانَتْ الْغُلَامَ رِجْلُهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ
 فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُغْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالِكًا .
 وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تَوَجَدُ فِي قَعْرِ الْبَحَارِ الْفُصُوصُ

(كِتَابُ الْمَعْجَبِ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَشِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى مِنْ بَعُوضِهَا :
لَكَ مَنْزِلٌ كَمَاتَ سِتَارُهُ لَنَا لَلَّهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثُ
غَنَى الذُّبَابِ وَظِلُّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبُرْغُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ وَذَا يُغْنِي بِلَا عَرُوضِ
فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمُأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ
ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغُضْنُ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْحَتِكَ . أَفْتَاذْنِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعْنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَذْنَانَا .
يَبْقَايَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ . أَهْلَابٍ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا
(للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ التَّوَكُّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَقَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَتَبَ
أَنْ يُصَلِّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَّاهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ .
 لَمْ يَصْلُبُوا بِالشَّاذِيخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
 نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عُيُونِهِمْ شَرْفًا وَمِلَّةَ صُدُورِهِمْ تَحِيلاً
 مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نَكُولًا
 هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارَقَ غِيْلَهُ فَرَأَيْتُهُ فِي تَحْمِلِ تَحْمُولًا
 مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ تَزَعَتْ لِبَاسُهُ كَالسِّيفِ أَفْضَلُ مَا بَرَى مَسْلُولًا
 وَقَالَ فِي الْحَبْسِ :

قَالُوا حَبِسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَارِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُفْعَدُ
 أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَا لَفْ غِيْلَهُ كَبِيرًا وَأَوْبَاشَ السِّبَاعِ تَصِيدُ
 فَالْتَّمَسُ لَوْلَا أَنَّهَا تَحْجُوبُهُ عَنْ نَظَرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا تَحْبُوءُ لَا تَضْطَلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنَدُ
 وَالْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَغْشُهُ لِدَيْتِهِ شَعَاءُ نَعَمَ الْمَنْزِلُ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَطَطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَقَدَ عَلَيْهِ رُؤُوسُ
 الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُسَمَّى دِرْوَاسَ
 ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ دُؤَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَاسْتَضَرَّهُ هِشَامُ
 وَقَالَ لِحَاجِيهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
 فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ دُخُولِي لَمْ يُخَلِّ بِكَ وَلَا أَنْتَقْصَكَ
 وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي . وَإِنْ هُوَ لَا قَدُمُوا لِأَمْرٍ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

نَشْرُ وَالسُّكُوتَ طَيُّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرْ لَا أَمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْنَا سِنُونُ ثَلَاثٌ . فَسَنَةٌ أَكَلَتْ
 اللَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَذَابَتْ الشَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فُضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَرُّوْهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْسِبُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ وَلَا يَضِيعُ أَحَرُ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَلِيَّ مِنَ
 الرِّعْيَةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : مَا تَرَكَ
 الْعَلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ بِبَيَاةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَمَرَ لَهُ بِبَيَاةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي جَائِزَةٍ
 الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (للشرشي)

الشاعر المتروى

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْبَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرَقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمُدَّةٍ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ مَدَّ الشَّعِيرِ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَائِنِ سِرًّا : لَا تُمَكِّنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَوَقَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهَائِزِ حَاظِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَاذَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا مُدَّ الشَّعِيرِ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنشَدَ بِدِيهَا :

يَقُولُونَ لِي أَرَحَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى قُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أُجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا حَلَّصْتُهُ مِنْ بَهَائِمِهِمْ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدُوحُ هَذَانِ الْيَتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَانِزَةِ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمَنْصُورَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :
بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : لَأَشْهَرَنَّ أَمْتِنَاعَكَ
وَلَأُعِيرَنَّكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مِثْلُنَا مَا قِيلَ : إِنَّ خَيْرِيَا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفُوزِي . فَإِنِّي إِنِ
قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِنِ قَتَلْتَنِي لِيَجْعَلَنِي وَسْمٌ عَظِيمٌ . فَقَالَ : لَأُخْبِرَنَّ
السَّبَاعَ بِنُكُولِكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ مِنْ
الْتَلَطُّخِ بِدِمِكَ . فَحَجَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (للنواجي)

١٧٠ مَا أَرْقَ وَأَجُودَ مَا أَنشَدَ بَعْضُهُمْ فِي الْفِرَاقِ :

مَا الدَّارُ مَذْ غِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ	كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِبُعْدِكُمْ	وَأَظْلَمْتَ بَعْدَكُمْ رُحْبُ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا	يَعْرِى مِنَ الرِّيشِ لَا تَخْوِيهِ أَوْكَارُ
تَرَى تَعُودُ لِيَا لَيْنَا أَلَّتِي سَلَفَتْ	كَمَا عَهْدَنَا فَتُخَيِّ سَمَلْنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُنْبُورَةٌ تَهْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي يَمِينِهَا
وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْعَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
لَوْ كَانَ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ لَكُنْتُ أَهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
فَأَسْتَحْسِنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْعَمِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبُلْبُلِ :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمَغْرَدُ فِي النَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِ حَيْرَانَا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلَةٍ وَرَشَانَا
هَاجَ بِي مَوْتُكَ الْمَغْرَدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْزَانَا
وَقَالَ نَضْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَرَمِضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عُقْلًا قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْعَرَبَ أَوَّلَهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّعَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شَغْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرِضِي الْإِلَٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ
فَأَجَارَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَحْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ إِنْ عَمِلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالَرَّبُّ عَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
خَنَّتْ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَفُطِعَ عَنِّي فِيهِ عِقْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ مُودِعًا :

لَا وَدَعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَمِيرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَيْنِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ. فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ وَصَّمَهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ. فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدِّي ثُمَّ يُفْدِي مِثْلَ مَا تُفْدِي
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشِيمًا مُرْصِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِي قَالَ : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدَرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عُدْرَتُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَخْضَرَّتْهُ بَعْدَ أَنْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الآغَانِي)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَامَتْ لُشَجْعِي هِنْدُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ عِنْدِي مِنْ لَهُ آدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِنَا وَتَبَوُّوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُغْنِيُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّبُّ

١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْقَارِسُ الْمَشِيجُ الْمَغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْحَيْلِ إِذَا تَوَرَّ الْعُبَارُ مَشِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَقَتِيلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذُّعْرِ وَيَعْلُو الصِّيَاحُ وَالتَّكْنِيزُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَنْ بَلِيدُ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ مُخْرِدُ

١٨٢ مَثَلُ دُعِيلُ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أَمْرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزَلٍ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلْ
 وَلَا نَتَ أَعْلَمُ بِالْمُكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلْ
 فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ
 قَالَ لَهُ فَأَتْلُكَ اللَّهُ . وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْثًا:

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْثًا وَكُلَّ مِنْهُمَا بِالظُّلَمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ كَعَثْرَبٍ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة المجتري عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عَبَادَةَ الْمُجْتَرِي الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَقَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا اكْبَرَ. فَادَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ أَلْتِي كَانَتْ
 فِي يَدَيْهِ الْيُمْنَى. فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكُرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي
 الْأُخْرَى. فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ:

بِسْرٍّ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجَارُ
 خَلِيفَةُ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ
فَرَمَى بِالْدُرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَّارُ (للأزدی)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
أَنْظُرْ إِلَيَّ بَيْنَ مَوَلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنَمْ دُعَائِي وَالْثَنَاءُ الْوَافِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصِّلَةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ حَلَقَهَا صَفَرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حَجَرِهِ كَالْمُسْتَجِيرَةِ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَيْبَاءًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :
جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بَغْدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَأَعْتَزَّضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنِ صَيْفِي الْخَلُوقِي الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَدْنَيْتُ مِنَ الشَّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَيْبَاءًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا غَرِقَتْ كَيْفَ لَا تَغْرَقُ
وَيَحْرَانُ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبَقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَغْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (لأبن خلكان)

جرير والفرزدق والاختل في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ . وَقَالَ لَهُمْ : لِيَقُلْ كُلُّ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكَيْسُ . فَبَدَرَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :
أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرْنِي وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرْنِيِّ شِفَاءٌ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
فَقَالَ جَرِيرٌ :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءٌ
فَقَالَ : خُذِ الْكَيْسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لأبن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعْجَبَ مِنْ
فُطْنَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ . قَالَ : جَمِيلَ رَأْيِكَ . فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ : الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَهَذَا مِنْ هَذِينَ . وَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى الدَّنَانِيرِ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِي إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقِلًا :
 فَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى بِأَنْفَسٍ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
 حُبِسَتْ فَمِنْ بَعْدِ الْكُشُوفِ تَبْلُجُ تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَأَلْبَدِرِ وَالشَّمْسِ
 فَلَا تَعْتَقِدُ لِلْجَنَسِ هَمًّا وَوَحْشَةً فَقَبْلَكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْجَنَسِ
 ١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهُ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَذَرِيجًا وَتَرْتِيبًا
 إِنَّ الْفَنَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا أَنْفُو قَتَبْتَ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
 ١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَقَرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعُفَ عَنِ الْمَشْيِ . فَصَارَ
 يَتَوَكَّلُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرَّةٍ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ وَتَأَمَّلْتُهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
 كُنْتُ أُنْشِئُ عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صُرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
 ١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَاكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :
 إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
 حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَاجِ الْوَرَّاقُ يُعِيبُ عَلَى نَفْسِهِ :
 يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سَوِدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
 وَمُؤَيِّجِي لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلٌ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
 ١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخْرَجَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَتِّ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَا تَوَا جَمِيعًا
أَدْعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَدْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدِيرٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مُنْشَاهُ :

ذَكَرْتُ عِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَأَنَّى أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهَيِّئُونَهُ بِالنَّشَائِدِ وَيَتَأَلَوْنَ مِنْهُ الْجَوَازِمَ . فَيُنِجِمَا كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ارْتَجَّتْ
مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ . فَاتَّفَقَتِ الْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيِّنَةٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضَيِّعٌ لَدَى الْكِرَامِ وَعِنْدَ السَّادَةِ الْتُّجْبَا
مَا زِلْتَ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلَمِهَا لَكِنَّا رَقَصْتَ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبًا
الْأَعْمَى وَالْأَعْوَرُ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقَدْ أَبْصَرَ
أَجَابَهُ أَعْوَرٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ تَحَلَّةٌ فِي شَفَتِهِ :

بِأَيِّ مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ أَلْتِ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسِبْتُ أَنَّ بَيْنَهُ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رِيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنْشَدَ صَدْرُ الشَّاعِرِ بْنِ جَهْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوَزَارَةِ بَعْدَ الْغَزْوِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى هِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنِ ضَرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتَ خَيْرٌ تَقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أَرَدَحَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتِي وَأَنْسِ نَفْسِي دَقَّارُ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطَرْلَاقِيُّ هُدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْراءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِعَجَلِسِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزَتْ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
٢٠٣ كَانَ أَحْلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبْنَاهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتَنِي
لَكُنْ جَهَلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ

(زُهَّةُ الْأَلْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ لِأَبِي بَرَكَاتٍ الْبَاهَرِيِّ)

اولاد تزار عند الافعى

٢٠٤ شَخْصٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ وَإِيَادٌ وَأَنَّمَارٌ أَوْلَادُ زِرَارٍ إِلَى أَرْضِ تَجْرَانَ .
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلَامًا قَدْ رَعِيَ فَقَالَ : الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَغُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةٌ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادٌ : وَهُوَ أَتَرٌ . وَقَالَ أَنَّمَارٌ :
وَهُوَ شَرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ : أَهُوَ أَغُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةٌ : أَهُوَ أَزُورٌ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادٌ : أَهُوَ أَتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنَّمَارٌ : أَهُوَ شَرُودٌ .
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي ذُلُونِي عَلَيْهِ . فَخَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا تَجْرَانَ فَتَرَوْهُ بِالْأَفْعَى الْجُرْهَمِيِّ . فَتَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجُرْهَمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتُهُ يَرْعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَغُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةٌ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطْنِهِ لِأَزُورَارِهِ . وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ بَرَّةً بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَا تَفَرَّقُ . وَقَالَ أَنَّمَارٌ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِأَنَّهُ كَانَ
يَرْعَى فِي الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ نَبْتُهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ بِهِمْ وَأَصَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ

فِي الْمَدِيحِ

٢٠٠ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِيَّايَ مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حُكْمَنَّاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنَ الْعَدَثِ الْمَخْشِيِّ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنَ الْعَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُثْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفَ . وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقُ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ . فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ حَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَّا احْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شَعْرِكَ . وَأَمَرَ لَهُ بِبِشْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠١ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ :

اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةٌ وَجْهِهِ قَبْضَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ
ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فَيَا بَغْضَ اللَّغْظِ . فَتَلَكَّأَ عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَابَةٍ :

مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُذْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدَرَهَا
 أَنْظُرْ إِلَى عَرَضِ الْإِلَادِ وَطُولِهَا أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لَجُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَلَتْ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوَ الْمَحَامِدِ مَا جُدُّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربّه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْقِيَامِ كَأَنَّهُمْ أُسُودٌ لَهَا فِي غِيَلِ حَفَّانٍ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لِجَارِهِمْ بَيْنَ السِّمَّاكِينِ مَثَرُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعَا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجْمَلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّأْوِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ
 ابْنُ الرَّبِيعِ وَيزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيفَانِ سَيِّدَا وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ
 التَّمْرِ يَ الْعَيْنِيَّةِ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَلَسَّعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنْ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلِّمَةٌ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَتَايَا صَالِبًا فَرَعُ
 (قَالَ) فَرَمَى بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ
 مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ

٢٠٩ حَكَى الْمَنْصُورُ النَّعْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
أَعَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَلَبَ النَّفْسَ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي .
وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْظِلًا فَقُلْتُ :

إِذَا اعْتَصَرَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَاْمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
وَعُدْ بِفِتْنَانِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَذَلْ سُؤَالَ
فِتْنَاهُ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَانِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصُرَتْ الْقَوْلُ لَقَدْ أَطْلَتِ الْمَعْنَى : وَأَمْرِي بِصَلَةِ سَيِّدَةٍ
٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ قَصَدَهُ إِلَيْهَا عَجْرَدٌ وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرُوهُ زَيْنُهُ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمُ وَالْأَحَدُثُ
إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ رَدَّ لَمْ يَفْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
أَصَحَّ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَذْمُ
طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَعْدَثِ
وَرَثَهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَا الْوَارِثِ وَالْمُورِثِ
فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَةِ سَيِّدَةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ
٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
مَا إِنْ أَعْدُ مِنْ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا
وَإِذَا أَلْبُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلَالَهَا

إِنَّ التَّكَاثُرَ لَمْ يَزَلْ مَغْوِلَةً حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنشَدَ إِسْحَاقُ التُّرَيْسِيُّ الْفَضْلَ الْبَرْمَكِيَّ قَوْلَ أَبِي الْحَجَنَاءِ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ

إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا الْتَرَى أَشْرَ الثَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ الْمَرْزُوعُ

فَإِذَا نَسَرَّتْ مِنْ أَمْرِى أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمُهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَضَعُ

قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشِّعْرُ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ

وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَتَى لَمْ أَكْفِئْهُ عَلَيْهِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ

اللَّهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ

بِسُكَايْنَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . (الْإِغَانَى)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَرْصَافٌ خَصِصْتَ بِهَا فَكَلَّمْنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُنْقَبِطٌ

الَّتِي ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِعَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عُيَيْنَةَ فِي مَدِيحِ فَضْلِ بْنِ سَهْلٍ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَتْ عَنْهَا الْمَثَلُ

فَنَانِلُهَا لِلْغِنَى وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ

أَخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ لِأَبِيهِمْ بْنِ النَّدِيرِ :

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحْتَلِ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعُودَ بَطْنُهَا بِذَلِ التَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ

٢١٤ قَالَ ابْنُ التَّمِيمِ لِيَزِيدَ بْنِ قُيَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَيَسْأَلُ بِأَنْفِهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرِي
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعَتْ صَنِيعَةً أَتَمَّتْهَا بِيَدَيْهِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرٍ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَوْصِرٍ

٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَدْعَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقِّ وَأَنْتَ قَرْمٌ لَكَ الْحَسْبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
حَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَبِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَدَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْبَرَهُ الشِّتَاءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ يَمْدُوحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُورُوا شَرَفًا مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حَدٌّ عَنْهُمْ وَخَلِمْهُمْ بِمَا أَحْكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا

٢١٧ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ فِي ابْنِ عَمْرِو :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هُرِمَتْ أَنَّ ابْنَ عَمْرِو لَدَى الْهَيْجَاءِ يَخْبِيهَا
لَمْ يُبْدِ فُحْشًا وَلَمْ يُهْذَلْ لِمُنْظَمَةٍ وَكُلَّ مَكْرُمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزُبُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَزْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةٌ أَبَدًا وَإِنْ أَلَمْتَ أُمُورٌ فَهُوَ كَافِيهَا
 ٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْخِلَالِ إِلَيَّ فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
 كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأُرْجِ طَابَ مَعَا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
 ٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابِقُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
 وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقَرَى حَطْبًا عَلَى النَّيْرَانِ
 ٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ لِلْأَمِينِ :

تَعِشْ عُمَرُ نُوْحَ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
 تَسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَتَنَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
 ٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعْ رُبَّ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رَجَحْتَ أَمْ لَمْ تَرْجَحْ
 قَدَّمَ وَأَخَّرَ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحْيِي
 ٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفَ فَضْلُ جَبَابِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي
 وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ
 ٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
 ٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدْوَالَهُ بِالنِّعَمِ قَاسَ أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ النِّعَمِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَدْرُهُ مَالٍ وَنَوَالُ النِّعَمِ قَطْرَةُ مَاءٍ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُتَنَصِّرِ بَعْدَ أَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكُكَ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ بِمُحَمَّدَةٍ وَمَصَادِرُهُ

فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يُرْتَجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ

بِمُتَنَصِّرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَتَنَصِّرُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ

٢٢٧ دَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ النُّذَيْرِ فَيَا هُجَيَّةُ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيُّفَاخِرُكَ ذُو فَاثٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغُرَّةُ الْحَسْبِ . وَاللَّاتِ

لَا تَمْسُكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَاكَ أَحْسَنُ مِنْ

وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ

أَبْلَجُ مِنْ رَفْدِهِ . وَخَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ

جُنْدِهِ . وَلْيَوْمُكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقَرَّتْكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَلْشَدُّ

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْحَقْرِ

مُسَوِّجُ بِالْعَالِيِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَعَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ

إِذَا دَجَا أَحْطَبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُحَلِّي زَمَانُ الْمُحَلِّ بِالْمَطَرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فَوْهُ دُرًّا وَيُكْسَى

أَثَابَ الرِّضَا (وَهِيَ حَبَابٌ أَطْوَأُهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرِدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا غُلْتُمَدَحَ الْمُلُوكِ (أَلِفَ بَا لَابِي الْحَجَّاجِ الْبُلُوِي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْحَيَّاطِ الْمَسْكِيَّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَامْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْيِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالُ بِأَمْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَذَرَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكُمِّي كَفَّهُ أَتَبَغَى الْغِنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَقَادَ ذُووُ الْغِنَى أُفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
 فَأَعْجِبَ بِهِمَا الْمُهْدِيُّ وَغَنَى بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسَيْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَتَيْتِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدُ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدُ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدَرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدَرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِحُرَّاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدِيَّتُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذُوو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالْشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْبِ بَعْدَكَ عُودُ
وَمَا لَسِرِيرِ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادِ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ
فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَضْرِبُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُخَبِّ الْأَخْطَلَ. فَبَلَغَتْ الْحُجَّاجُ فَقَالَ: اللَّهُ دَرِّ يَزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلسُّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (للنبي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوِّيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ الْنَّاطِرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرُو شَاكِرُ
٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأُمَرَاءِ فَخْرًا فَمَا مَلِكُ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْتِي وَاشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَاذِبِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا
٢٣٣ وَاللَّبْحَرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْخُجْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَخْضَرَهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرَهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْنَ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحَبِّ كَاسٍ وَمَزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِعَجْدٍ أَوْ لِحُجُودٍ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ وَالْهَجْوِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأَنَّا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَكَثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبَيْنَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَلْتُ مِنَ الْعُلَيَّا نَصِيبَ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْغَيْرِ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْعَالِي أَرْبُ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَى لَا تَرَانِي لِدُعَاةٍ مِنْ حُجُبِ

٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مِنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَحَبَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةٌ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَحَبُّبٍ مِنْ نَعَالِي وَرِضَانِي مِنْهَا بِلُبْسِ الْبَوَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلِ فَسَوَايَ إِذَا بَيْنَ يُغَالِي
لَوْ حَدَاثُهُنَّ لِلْجَمَالِ فَأَنِي فِي سَوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَّانِي الْخُفَا وَبَلَّغَنِي الْخُلَا جَةً مِنْهَا فَأَتَنِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعَرِّضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِخَالِجٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أُرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِمِحْظَةِ الْبَرَمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنْاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشْهَرِّ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَفْتَرٍ
٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَزَارِيِّينَ :

وَالَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَأَتَنِي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبْلِهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيَيْنِ أَصُولُ
وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخَلُّوْا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ أُمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَذْرُكُ التَّجْدُ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْقُرْسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِي إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِمَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلْفٍ الْعَجَلِي :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا لِمَا نَابَهُمْ قَدَمًا وَأَغَشَى الدَّوَاهِيَا
 وَأَقْتَعِمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَقْتَعِمُهُ لِأَذْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الانغاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

سَيَّانٌ كَسَّرَ رَغِيفَهُ أَوْ كَسَّرَ عَظْمَ مِنْ عِظَامِهِ
 فَارْفَقَ بِكَسَرِ رَغِيفِهِ إِنْ كُنْتَ تَرَّغَّبُ فِي كَلَامِهِ
 وَرَّاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ لِي بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَّائِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيتُ ذَنْبٍ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُضْلِعُ الْمِعْدَةَ الْقَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تَحْمَةَ أَضْيَايِهِ فَمَوَدَّهُمْ أَكْثَلَهُ وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَيْبٍ :

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمْرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رَوْحِي عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ قَوْمُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ نَجَاةَ اللَّئَامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامُ
٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَطَّائِيَّ كَانَ ضُجُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ
فَكَانَ يُؤْتَى الْعَمَلُ الْوَاحِدَةُ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُؤْتَى ثُمَّ يَعْزَلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرِّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ خَيْرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بِخِيَلَا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا وَظَنَّا بِأَنَّنَا نَقُولُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ
٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَيْبًا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى لَوْ أَنَصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ
لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأْيِي جَاهِلٌ مَرَكَبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا نَهَمًا :

إِذَا صَوَّتَ الْمُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتِهِ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخْوِيُّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَلَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَلَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةٌ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبَّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللَّوْمِ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوْهَا بِاسْتِكَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ ثَمَلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِئَةِ صَاحِبَةِ ذِي الرُّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَأَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْتَحَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الْأَدَّاهَانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلُنَا سَتَصِيرُ
فَلَدَّاجَاةٍ رِيْشٌ لِكِنِّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وَقَدْ ابْنُ كُلْدَةَ الثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى فَأَنْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
 كِسْرَى : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : أَنَا الْحَارِثُ بْنُ كُلْدَةَ . قَالَ : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ .
 قَالَ : نَعَمْ وَمِنْ صَمِيمِهَا . قَالَ : فَمَا صَنَاعَتُكَ . قَالَ : طَبِيبٌ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ
 الْعَرَبُ بِالطَّبِيبِ مَعَ جَهْلِهَا وَضَعْفِ عَقُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا .
 فَقَالَ : ذَلِكَ أَجْدَرُ أَيْهَا الْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا
 يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عَوَجَهَا . وَيَسُوسُ أَبْدَانَهَا . وَيُعَدِّلُ أَسْنَانَهَا . قَالَ
 الْمَلِكُ : كَيْفَ لَهَا بِأَنْ تَعْرِفَ مَا تَعْهَدُ عَلَيْهَا . لَوْ عَرَفْتَ الْحَقَّ لَمْ تَنْسَبْ
 إِلَى الْجَهْلِ . قَالَ الْحَارِثُ : أَيْهَا الْمَلِكُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَسَمَ الْعُقُولَ بَيْنَ
 الْعِبَادِ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ الْيَوْمَ نَصِيحَتَهُمْ . فَفِيهِمْ مَا فِي النَّاسِ مِنْ
 جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ . قَالَ الْمَلِكُ : فَمَا الَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ .
 وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . قَالَ الْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ . وَقُلُوبٌ
 جَرِيَّةٌ . وَعُقُولٌ صَحِيَّةٌ مَرْضِيَّةٌ . وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ . فَيَمُرُّ الْكَلَامُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ مَرْوَقَ السَّهْمِ مِنَ الْوَرِّ . أَلَيْنَ مِنَ الْمَاءِ . وَأَعَذَبَ مِنَ الْهَوَاءِ .
 يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ . وَيَضْرِبُونَ أَلْهَامَ . وَعِزُّهُمْ لَا يَرَامُ . وَجَارُهُمْ لَا
 يُضَامُ . وَلَا يَرُوعُ إِذَا نَامَ . لَا يَقْرُونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ . مَا
 خَلَا الْمَلِكَ أَلْهَامَ الَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ . قَالَ كِسْرَى :
 لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ عَرَبِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا وَخَصِصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْحَقِّ
 فِطْنَةً وَفَهْمًا . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ وَصِلَتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْعَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَشَ مَرْهُوفِ السَّيِّئَةِ مَهْفَافٍ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَمَى الْمَلِكَ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُؤَاطِبُ الْخُمْسِ لَا وَقَاتِمَا

وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمْشِي لَا وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لُعَابُهُ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَضْمَتِ يَجْنَهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تُخَفِّرُ شَأْنَهُ
وَهِيَّاتُ يَبْدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ
تَرَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عَمْرُهُ
يُتَرْجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بِلَيْغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحٌ بِسِرِّهِ
إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتَهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ وَجَمَانُهُ صَامِتٌ أَجُوفٌ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خَفِيَّةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرِفُ
٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْفِزًا فِي دَوَاةٍ :

وَمَرْضَعَةٍ أَوْلَادَهَا بَنَدَ ذَنَبِهِمْ لَهَا لَبَنٌ مَا لَدَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالَّذِي رَأْسُهَا وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَالْفَرَزُّ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِيزِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يُخَكِّمُهُمُ بِالْقِسْطِ بِلا رِيَاءٍ أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَاءٍ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيمَانِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءَ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النَّدَاءِ
يُفَصِّحُ إِنْ عُلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرَبٍ
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنْ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ يُصَادُّ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُوكَلُّ أَحْيَانًا طَبِيعًا وَتَارَةً
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
أَلَا خَبَرُونِي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ

٢٦٤ أَلْفَز أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحُشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِ

وَذِي أَوْجُهُ لِكِنَّهُ غَيْرُ بَاحٍ
بَسْرٍ وَذُو الْوَجْهَيْنِ لِلْبَسْرِ مُظْهِرُ
تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ
فَسَمِعَهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

٢٦٥ قُلِعَ لِإِسَامَةَ بْنِ الْمُنْقِذِ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغَزًا :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتَهُ
يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْمَعِي سَعْيِي مُجْتَهِدُ
لَمْ أَلْقَهُ مَذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا
لِنَظَرِي أَفْتَرَقْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ

٢٦٦ أَلْفَزَ ابْنُ زَكَرِيَاءَ بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيُّ فِي نَعَشِ الْمَوْتَى :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ
إِذَا سَارَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا
وَكُلُّ أَمِيرٍ يَغْتَلِيهِ أَسِيرُ

يُحْضِرُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرِهُ قُرْبَهُ
وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرَزَعْ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ
وَلَكِنْ عَلَى رَغَمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بَهَاءَ الدِّينِ زُهَيْرٍ وَزِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْغَزًا فِي قُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ الْأَحْلُ الْبَرْدُ جِسْمُهُ
وَمَا زَالَ مِنَ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنَعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرُ حَارِسًا
وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ أُنْزِلَ فِي طَاحُونَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ إِلَّا كُلَّ سَاعَةٍ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءِ :

مَطِيَّةٌ قَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقْفَةٌ فِي أَلْبَابِ مَرْدُودَةٍ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارِ :

وَمَا أَسْمُ ثُلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَعَا
لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ
٢٧١ قَالَ آخَرُ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْتَوِي عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعْبِسُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُذِرْكُهُ

٢٧٢ أَلْغَزَ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوِنِ :

خَبَرَنِي أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ قَمَّةٌ
يَرْفُسُهُ وَيَلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاءَهَا فِي الْحِجِيِّ وَفِي الذَّهَابِ

يَعَيْنِ لَمْ تَذُقِ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا فَرَفَتْ لِدَمْعِ ذِي انْسِكَابٍ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزَ الصَّلَاحِ الصَّفْدِي فِي عِيدٍ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلُ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِنَدِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدٌ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُنْجِي وَهُوَ مَيِّتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِأَرْجُلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّمَاءِ
٢٧٧ قَالَ الْحَاتِي مُلْفَزًا فِي بَابِ بِيضَرَا عَيْنٍ :

عَجِبْتُ لِمُخْرُومِينَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَقَانِ
إِذَا أَمْسَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

وَمَا أَسْمُ شَيْءٍ وَحَسَنَ شَكْلِهِ تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا



الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ
فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ
بِالْلَفْظِ. وَيَعَيْنُ فِي النَّظِيرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَرَى النَّصْحَ قَرْضًا
يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزِمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَفْرَغَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدَهُ. خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَذَلَ عَفْوَهُ. أَثَبْتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَهْلَكَ.
وَأَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَهْجَلَ (للشعالي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا حَبِيلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (لالشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ الْخَيْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْمُسَيَّرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:
جَاءَ الْمُسَيَّرُ وَالْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ سَسْرَى وَهِيَ جَاهِدُهُ وَمَرَّ يَحْتَطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظَرَ
فَأَجْرَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الافغاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا يَدُوكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا
لِصَّلَاتِي. وَأَعْدَهَا لِعِدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي.
وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشِيَّتِي لِتَسْعَ خَطْوِي. وَأَتَبُ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُؤَمِّنُنِي
الْعَثَرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيَجْنِبُنِي الْقُرَّ. وَتُذِنِي إِلَى مَا
بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ مَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعِلَاقَةُ أَدْوَاتِي. أَقْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ. وَتُوبُ عَنْ الرُّمَحِ الطَّعَانِ. وَعَنْ السِّيفِ
عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثَتُهَا عَنْ أَبِي وَسَاوَرَتُهَا أُنْبِي مِنْ بَعْدِي.
وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. فَبِهِتَ الْحُجَّاجُ
وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْخُفَّ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَلَعَ
أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فَنَآؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ
شَانِعٌ. وَسِرُّهُ ذَانِعٌ. وَلَوْ نُفِيقُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَاقِعٌ. رَدِيٌّ
الْمَنْظَرِ. سَيِّئُ الْخَبَرِ. يَنْخُلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سِنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكَتَبَ: مَعْقُولٌ مَحْجُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مُدْرِكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكَتَبَ: نَوْمٌ لَا
 انْتِبَاهَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى. نَقِيزُ الْبَيْتَةِ. انْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ.
 الرُّجُوعُ إِلَى الْغُنْصِرِ. شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ. فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فِجْدَانُ الْإِخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكَتَبَ: شَرٌّ يَمْنَى. مَرَضُ
 الْأَصِحَّاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكَتَبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مَحْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكَتَبَ: تَصْوِيرٌ طَبِيعِيٌّ. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكَتَبَ: عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوَرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ. وَعَنِ
 الْقَمَرِ فَكَتَبَ: عَقِيبُ الشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكَتَبَ:
 مَلْعَبَةُ الْبَجَتِ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكَتَبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكَ (على زعم الأقدمين). أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أُمُّ الثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكَتَبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكَتَبَ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوَتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ حِيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنْحَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كَتَبَ

أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُجَّانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَئِيسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيرُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٌ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتُقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطِّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ السِّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمُنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الْقِمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مُجَرَّدِ
سِوَى الْفُسْتُقِ الرَّطْبِ الْحَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيَّنَتْ بِتَقَرُّدِ
غِلَالَةِ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَلْبُ زَبَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجُلْنَارَ :

بَدَانَا الْجُلْنَارُ فِي الْقُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْخُوسُ الْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مِلَّتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنًا عَلَى الرُّوضِ الَّذِي طَلَّهُ النَّدَى سُخَيْرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِيقِ تُسْفَكُ
فَلَمْ تَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنَ النُّورِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارٍ وَيَأْشَرًا بِفَجْةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأَفْحَوَانٍ وَوَرْدٍ وَخَزَامَى وَزَجَسٍ وَبَهَارٍ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَّا تَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَالسَّمَاءُ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّبِيعِ ابْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتَهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَعْلِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَذَلَّلَتْ تَنْقَادُ وَهْيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْقَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو قَدْ أَمِيتُ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعُ وَفْدَتِهِ فَنِعْمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبِرْ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَاقِفُهُ فَهَنْ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُعُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفُقُ يُسْفِرُ ثَلَاةً وَيُقْطِبُ
وَكَاَنَّ مُحْضَرَ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طَرَاثُ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَايُ فِي السُّوسَنِ :

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمْتُ نَبْهَنِي بَعْدَ أَهْدَوْ بِهَا قَرَعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَل :

حَازَ السَّفَرُ جَلْ لَذَاتِ الْوَرَى فَقَدْ عَلَى الْقَوَاصِكِ بِالْتَفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالْأَرَاكِ طَعْمًا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَائِحَةً وَالتَّبْرِ لَوْنًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَذْوِيرَا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لَا كُنْزٍ وَمَصِّ لَبٍّ وَرَشْفٍ
كَمَلْتُ فِي أَسْتَوَانِهَا وَأَسْتَقَامَتِ بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلُطْفٍ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جَنْبِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِأَرَاكِ أَغَادِيهَا وَكَأْسَ أُدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهَّةُ أَعْيُنٍ وَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّيْعُ بِلَادَهَا فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّاطِرِ نَجْمِ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِ :

يَا عَائِبَ الشَّاطِرِ نَجْمٍ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشَّاطِرِ نَجْمٍ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَعِبِهَا شُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْغَلُ أَهْلَهُمْ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبُ الْكُأْسِ عَنِ الْكُأْسِ
 وَصَاحِبُ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
 وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
 ٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :
 مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
 عَجَبٌ مِنْ عَجَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعٌ قَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ
 ٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّخْوِ :
 النَّخْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ وَالْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
 فَإِذَا طَلَبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ
 ٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحَمِّي قَالَ :

وَزَارِهِ تَرُورٌ بِلا رَقِيبٍ وَتَنْزِلُ بِالْفَتَى مِنْ غَيْرِ حِجَةٍ
 وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبَةٍ
 تَبَيْتُ بِبَاطِنِ الْأَخْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عُظْمِ كَرْبَةٍ
 وَتَمَنُّهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْقَضَ بِمَأْكَلِهِ وَشُرْبِهِ
 أَنتَ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهِ
 قَالَ بَعْضُ أَشْعَرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَّانِ :
 الْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالْذَّمُّ كَالْذَّرِّ فِي الْحَدِيدِ يَسْتَبِقُ
 وَإِنْ قَاضَ مَا دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْوُدُّ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضْرُوكٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَأِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . قَدْ خَلَّ عَبِيدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَبِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنَّ تَبَعْتَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُوتَنَكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَهُ . وَالْدُّنْيَا
بِأَسْرِهَا هَيْئَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضْفَعُهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزُّبَيْرُ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْقَرَهُ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلُمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَمْتَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فِدَاوِهِ يَمْثِلُ
هَذَا الدَّوَاءُ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كَانَ الْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِعَظَمَ قَدْرَهُ
يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَحَبَّبَهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُسَكِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَغْفِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقِلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ اعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخُضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَنَتْ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا أُنْجِمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَمِعْتُهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةً . قَالَ : وَمَاهِي . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضِيعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمَا . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرُكُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِيَ عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيَهُ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
لِيَقُومَ بَدَتْ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَائِبَاتٍ
خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
بِمَخْبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيماً
وَمَثَلَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا

(اللابشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آداهُ لعجوزٍ من فقراء رعيته

٣٠٧ ذكر في كتاب المغازي عن عبد الله بن العباس عن أبيه قال :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا
جَذَبَنِي بَنُو نِي وَقَالَ : الزَّمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَّكِرٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الْدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَرِيَّةٌ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُؤْتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَبْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَنَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صَبِيَةٌ
يَقُولُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَامَهَا أَثْنَانِ عَلَيْهِمَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ الصَّبِيَّةُ: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَقَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
يُوقِفُكَ سِرِّبْنَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصَّبِيَّةِ
فَأَكَلُوا وَاسْتَقْبَلُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاءُ الْعِيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
وَالْجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ
فَتَأْكُلُونَ. فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَه. فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَادَرْنَ وَيَبْكُونَ.
فَقَالَتْ لَهُ: لِمَاهُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي
الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَقَطْ
إِلَى أَنْ يَضْجُرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي.
فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنْ فِيهَا
شَيْئًا يُطْمَخُ فَيُوكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجُرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عِيُونَهُمْ
نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَلِمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخُ
لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكَ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيَّا اللَّهُ عُمَرَ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَالَاتَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَهَ بِمَاذَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّأْيِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَرَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعِيَّتُهُ .
 لَعَلَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيَّقَ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مُعِين وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمِهِ وَيَسْمَحُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقْوَتُهُ وَعِيَالُهُ أَوْ
 صَبِيَّتُهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّأْيِي الْحَرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَرَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَلَعَلَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيِّقَ الْيَدَ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَأْيِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عُمَرَ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّأْيِي الْحَرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَهَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةِ وَالسَّاعَةِ آتِيكِ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَسَيْنَا وَالْكَلابُ تَتَجَنَّبُنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبُهَانِي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الذَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَخَدَّهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَرَفَيْنَا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَظْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ رَحِمَهُ عَلَى كَيْفِي . فَحَمَلْتُهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْمِلْ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمَنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلْتُهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْفَلَ أَلْبَابَ وَمِرْنَا وَقَدِ أَنْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ . فَمَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْحِمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِي وَأُمِّي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَائِمِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّامَا هَذِهِ
الْعُجُوزُ تُعَلِّلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَضْجِرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ هُتُ الثَّوَرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَمَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كَنَفِهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدَكَ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَثَافِي . وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ فِيهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ لِحْيَتِهِ وَقَدْ كَسَسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِي رَأْسَهُ لِيَتِمَّكَنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى أَشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَعَلَ يُحَرِّكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَرَأَيْتُمْ الصَّبِيَّةَ حَوْلَهُ يَتَصَارَحُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ . فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِفَمِهِ لِيَرِدَهُ
 وَيَلْقِمُ الصِّغَارَ . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَاتَّفَقَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا خَالَه أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكَ . فَأَنْتَبِهَنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتُجِدُنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي حِينَ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تُعَلِّلُ سَبِيلَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاصْكَنْتُفُوا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي . ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبِتْنَا لَيْلَتَنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَغْفَرَهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ أُمِّالٍ تَسْتَوِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حَكِي عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَانْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ .
 وَامْتَلَأَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَأَذَعْنَ لِأَمْرِهِ الْجُمْهُورُ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ . اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رُكُومَ وَقَائِعِ أَيَّامِ صِفِّينَ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكِرِيهَةِ مِنَ الْمُعْرِوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كُوفُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضُ . وَآلَ حَدِيثِهِمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيسِ . فَقَالُوا : أَمْرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تُسَمَّى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِي . كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . تَسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَجَّةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لِقَاتِلِ وَالْمَذْبُورِ لَا قَبْلَ . وَالْمُسَالِمِ لِحَارِبِ . وَالْقَارِ لَكُرٍّ . وَالْمُتْرَازِلِ لَا سِتْقَرٍّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بَشَرًا أَشْرَثَ بِهِ وَقَبِيحًا لِمَا قَاتَمَ . أَيْحَسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَهَرْتُ وَقَدَرْتُ قَتْلَ أَمْرَةٍ قَدْ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلَّيْمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيٍّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفَرَسَانِ مِنْ قَوْمِهَا . وَمَهْدَ لَهَا وَطَاءً لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ رَكِيفَ رَأَيْتِ سَيْرَكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحْرِضِينَ عَلَى الْبِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ الرَّأْسُ وَبَيَّرَ الذَّنْبُ . وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتُ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَهْلُكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتُكَ تَقُولِينَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْبُصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّنَسِ . وَإِنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرَسَ . وَلَا يُقَطِّعُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ اسْتَرْشَدَنَا أَرَشَدُنَاهُ . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرْنَاهُ . إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَأَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ التَّامَ شَمْلُ الشَّاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْمُبِيتُ وَالْمُبِطِلُ أَفَمَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْتِزَالُ الَّتِزَالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحَنَاءَ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِثْنَا الْحَرْبِ غَيْرَ نَاكِسِينَ فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ » يَا زُرْقَاءُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَتَحْرِيطُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلَكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيُسِرُّ جَلِيلَةً .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ
وَأَتَى لِي بِتَضَدِّيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فَأَوْكُمُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَعَجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ تُقْضَى . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيِّ
حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقِتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
مِنَ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتَهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْصِنُ
إِلَيْكَ وَنَزْعَالِكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
فَعَمَّا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُنُوسَةً
وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً تُغْلُ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكُتِبَ إِلَى وَائِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ بِهَا
وَبِعَشِيرَتِهَا (للأبشيهي)

رجلان كريمان حصلا على الامارة بكرمهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خُزَيْمَةُ بْنُ بَشْرِ بْنِ أَبِي بَشْرِ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمَّ يَزُلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى أَحْتَاجَ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُوَاسِيهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ حِينَئِذٍ إِنَّهُمْ مَلُوهُ .
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أَمْرَهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَتُ الْعَمِّ
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا عَمَّا عَهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَنِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَّقُوْتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَائِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْقِيَاضُ وَالْيَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَيَتَمَتَّاهُ جَالِسٌ فِي دِيوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ فِي أَشَقَى حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ: أَفَمَا وَجَدَ خُزَيْمَةُ بْنُ بَشْرِ مُوَأْسِيًا أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ:
لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكَرَمِ بِالتَّمْرِ لَةِ الْعُطْيَةِ
وَقَدْ سُمِّيَ الْفَيَاضُ لِزِيَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمَدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُزَيْمَةَ فَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَسَلَّمَهَا إِلَى الْغُلَامِ . وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَّرَ صَوْتَهُ: خُذْ هَذَا أَصْلَحَ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاولَهُ خُزَيْمَةُ فَرَأَاهُ
ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذِيلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جَعَلْتُ
فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا يَحْتُكُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا تَخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ: زِدْنِي إِضَاحًا . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُزَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أَمْرَأَتِهِ وَقَالَ
لَهَا: أَبْشِرِي فَقَدْ آتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ قَوْمِي أَسْرِجِي . فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُزَيْمَةُ يَلْنَسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
خُشُونَةَ الدَّانِيَةِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَتَرِهِ سَأَلَتْهُ أَمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَذَا مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا: مَا كُنْتُ لِأُخْرَجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِمَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ
 لَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنْهَا قَالَ : أَخْبِرْكَ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالٍ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَالِحٌ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الْخَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَدًّا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرَيْمَةُ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرَيْمَةُ : ضَعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقِلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنْهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هُدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَّا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا قَوْلَهُ حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسِيهِ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْنَاهُ لَكَافَيْنَاهُ عَلَى مُرُورِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ . فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِخُرَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرَمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَقَبَّلَ خُرَيْمَةُ الْأَرْضَ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ غَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِلْمُلَاقَاةِ خُرَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَدِ . وَسَأَمُوا عَلَيْهِ وَسَادُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ الْأَمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُحَاسَبَ . فَخَوَّسَ
 فَفَضَلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَأَنْتَ مَا إِلَى
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِخَبْسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنْ لَسْتُ بِمَنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعِرْضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتَ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرْبِهِ . فَكُتِلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضُرِبَ وَضُيْقَ عَلَيْهِ فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْأَهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَ بِهِ نَبْلَغَ
 أَمْرَاتِهِ ضَرْهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَاتَّعَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةَ لَهَا
 ذَاتَ عَقْلِ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِ السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُزَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْهُ الْخُلُوةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمُكَافَأَتِكَ لَهُ بِالْضِّيقِ وَالْحَبْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ جَارِيَتُهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسْوَأَتْهُ جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لِرُوقَتِهِ بِدَابَّتِهِ فَاسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى جُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْحَبْسِ فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ الْقِيَاضَ فِي قَاعِ الْحَبْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْأَهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوُجُوهَ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمَهُ ذَلِكَ فَتَكَسَّرَ رَأْسُهُ . فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةُ وَأَكْبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْقَبَ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : كَرِيمٌ فَعَالَكَ

وشوه مكافأني . فقال له عكرمة : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ
 أَمَرَ بِقُبُورِهِ أَنْ تُنْفَكُ وَأَنْ تُوَضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرَمَةُ : أَقِمْ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرَمَةُ وَأَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةُ بِالْحَتَامِ فَأَخْلِي وَدَخَلَا جَمِيعًا . وَقَامَ خُزَيْمَةُ نَفْسَهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرَمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَحَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَا لَا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا
 فِي الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
 بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَلِي الْجَزِيرَةَ يَقْدُمُ
 عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَأْمَعُ قُرْبَ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِخَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 فَمَا أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفِرْتُ بِجَاوِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرِكَ لِأَرَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَيَّ رُؤْيِيهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرَمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرَمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالًا
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبْ حَوَائِجَكَ رَمَّا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَقُضِيَتْ عَلَى أَمْرٍ وَجِهٍ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِثْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الثَّخَفِ وَالطَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينَةَ

وَأَذْرَبِجَانٍ وَقَالَ لَهُ : أَمْرُ خُرَيْمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتُهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ . قَالَ : بَلْ رُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرةٍ
وَعَذَّبَهُ وَاسْتَأْصَلَهُ وَاسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ . فَأَحْتَالَ يَزِيدُ بِحُصْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبِ السَّجَّانِ وَاسْتَمَالَهُ . وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ الْحَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ . فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ . فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَالِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا . فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ . فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَجَاءَ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا . وَلَمْ أَجِرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا .
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ :
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيَّ يَزِيدُ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ . ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ .

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهَمَا جَسِيماً بِغَلَيْنٍ وَحَمَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَإِنَّهُ عَلَيْكَ فَأَبْدَأُ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلُ يَزِيدَ ثَانِياً . وَاجْعَلْنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثاً وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُمَا فِي سِلْسِلَةِ أَطْرَقِ الْوَلِيدِ
 اسْتَحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَتَانَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمَبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَخْجُجُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَلْنَا عُذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحَجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدَّاداً فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ بْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
 وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَاباً لِلْحَجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَإِنَّكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبَشِيِّ)

عفو كريم وإحسانه إلى من قتل أباه

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّقَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ : أَلَزِمَ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّخَّاحُ :
يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْعَدُوِّ . فَقَالَ : سَمِعْتُ
وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِياً فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
الصَّخْرَاءِ فَيَتِمَّا كُنْتُ يَوْماً عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ أَلَيْتَ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ . فَتَحَيْلْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
فَخَرَجْتُ مُسْرِعاً مِنَ الدَّارِ مُتَكِرّاً حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
أَحَدًا أَخْتَفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَتَنَظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ
وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُقْبِلًا
عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَتَزَلَّ عَنْ فَرَسِهِ وَالتَفَتَ فَرَأَانِي فَقَالَ لِي : مَنْ
أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَقُلْتُ : رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دِمِهِ وَجَاءَ يَسْتَجِيرُ فِي
مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي
كُلِّ مَا أُحِبُّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَنْصُي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
قَرِيبَ الظُّهْرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً : أَرَأَيْكَ تُدْرِكُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ فَنَفِي مَ
ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
ظُلماً وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
وَأُدْرِكَ مِنْهُ ثَأْرِي . (قَالَ) فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ
تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
دَمِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ . ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَسِيهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَتَى أَنَا الَّذِي
قَتَلْتُ أَبَاهُ. قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجِبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي
يَلْزُمَنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَضِيكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
الْخَطْوَةَ. فَقَالَ : وَمَنْ ذَاكَ. قُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَأَنَا قَاتِلُ
أَبِيكَ فَخُذْ بِثَأْرِكَ. فَتَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْجِرُكَ إِلَّا خِتَاهُ وَالْبُعْدُ عَنْ
مَثَرِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتُ الْمَوْتَ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَالتَفَتَ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمِهِ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَأْرِهِ مِنْكَ
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخِيرَ ذِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ آمِنُ
عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخَذَهَا وَأَنْصَرَفْتُ
عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَيِّفْتُ عَنْهُ فِي عُمرِي
بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنْ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
مُدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ مَالَ
بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ الْبُسْتَانَ أَنْ تُعْرِفَنِي .
فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنُ بُسْتَانَهُ لِيَتَرَدَّهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ عَلَى حَشَبَةِ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنَّ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَعَرَّتْ بِهِ الْحَشْبَةَ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِرَّكَ سَيِّلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
مُجْلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَتْهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . أَيْضًا . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الرَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
أَنْ مَعْنًا يُرَاجِعُهُ عَقْلُهُ وَيَأْخُذَ الْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَأَلَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ فَحَطَّرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ
أَنْ يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَالَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَآخَبَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَنْعَمَ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ لَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ (لَهُ)

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كَانَ اَلْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَارَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشُّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي يَوْمًا

فَعَاتَبَنِي عَلَى سُرْبِي الْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى وَلَدَيَّ
 مُوسَى وَهَارُونَ الْبَنَةَ وَلَكِنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا لِأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَا صَنْعَنَّ .
 قُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَيُّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زُرْهَةٍ لَهُمَا . فُسِّعِيَ بِهِمَا وَرَبِّي
 إِلَى الْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَ بِي فَجَرَدْتُ فَضَرَبْتُ
 ثَلَاثِينَ سَوْطًا . قُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنَّ جُرْمِي لَيْسَ مِنْ
 الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
 بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَغْشِيًا عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ فَتَحْتُ
 عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمَهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ :
 خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
 وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَيْهًا بِالْقَبْرِ فَيُصِرَّنِي
 فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَحَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
 إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرَنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَّيْتُ بِالْأَتْرِ وَبِالْبَقَى فِي ذَلِكَ
 الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
 فَحُمِّمْ وَكُنْدُودٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقَى . فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ
 الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْعَمِّ . فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى
 الْتَرِّ فَالْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَيُّ قَدِ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
 كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
 بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
 بِيَدِي الْيُسْرَى فَأَمَّا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلْتَا مِنَ الثَّقَبِ الَّذِي

خَرَجَتْ مِنْهُ . فَمَكَثْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أَرَايَ النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارِ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدَّرْيَارِ أَسَامُ بِهَا الْحَنْفَ صَدًّا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنَنَّ حَلِيلُ حَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمَهْدِيُّ وَأَحْلَفَنِي بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الآغا نبي)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمُظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدْ هَمَّ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَظَنَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدِي لَهُ الرِّشْدَ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبَدُ
 وَابْتَدَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظُلَمًا وَفُرِّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 فَاطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَأَنْجَادُ عَيْنِي وَقَرَحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبَدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَانْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْعَصَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

فَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخَضَمُ . فَقَالَتْ : الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ بِيَدِهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا مَجْلِسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَعْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعَهَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَحْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ ضِعْفَتَيْهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
 الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُؤْغِرَ لَهَا
 ضِعْفَتَيْهَا وَيُخْصِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجَوَادِ الْكِرَامِ
 قَدَرًا مَنَزَلًا . وَكَانَ مُنْصَرِفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غُلَامَانِهِ
 طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوْ كَيْلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبْنٍ أَوْ طَعَامٍ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
 فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبْتَاعُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ السَّيِّئَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلِابْنَانِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بَنُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْمِي لَهُمْ
 وَهَذَا أَوَانُ أَوْبَتِهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعْدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ . قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بَشَطِرَهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أُجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَتَمَنِينَ التَّضَفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِنْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِنْطَاءَ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَصْغِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِعَبْرَهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ . فَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَبْيَكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتُكَ وَبِرِّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ لَهَا أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَتَسْهَرُ الْيَسِيرَ
وَأَتَجْعَلُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَلَا أَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . وَلَمْ يَكُ مِنْ الدُّنْيَا
فَرَحٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَذْخَرْتَ لِنَبِيِّكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :
أَذْخَرْتُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَيِّبٍ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَتَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فَازْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمْتَ عِنْدَكَ هَذِهِ الْعَبْدَةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالِكَ . أَلَمْ يَأْتِ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ أَنْفُسَ
 وَيُؤْثِرُ فِي الْخِصَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا فَأَحْضَرُوهُمْ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي لَمْ
 أَطْلُبْكُمْ وَأُمُّكُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ أَصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلَمْ
 شَعْنَكُمْ . فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ
 لِفَضْلٍ تَقْدَّم . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَا لِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَالِ مُبْتَدَأُ
 مِنْ هَذَا سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَمَعْرِوْفَكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَلِكَ . وَأَمَرَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشِّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ يَحْسَنُ الْمَقَالُ وَصَدَقَ الْقَعَالُ وَطِيبَ الْحَبَرُ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْأَجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَعَالُ كَرِيمٍ عَظِيمٍ الْخَطَرُ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقُّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ بِأَنْ يَسْتَدِرَّ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتِ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَا جَدَّ وَوَقَّيْتَ كُلَّ أَلَدَيَّ وَالْعَدَدَ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيَّ الْحَالِ رَثٌ
 الْهَيْئَةِ . فَصُيْعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ . فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا . فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ التَّزَهُّدَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ . فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
 أَزْدِرَاءَ بِهِ . فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعِثَانِ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : أَنْ تُضْفِي
 إِلَيَّ بِسَمْعِكَ . وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرَفِكَ . وَتُقِيلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ . ثُمَّ أُنْشَدَ :
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَيَمْنَعُنِي الْحُجَابُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلُ وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرِّجَالُ صُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْمَطُوبِ كَأَنَّهُمْ ذُنَابُ جِيَاعٍ بَيْتُهُنَّ حُرُوفُ
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا تَرُدُّ أَمْرًا وَأَفَاكَ وَهُوَ لَهْفُ
 وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِمَنْ وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانِ قَيْسُ وَخُنْدِفُ
 تَحَطَّيْتُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرِخْلَتِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتُ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَجِشْتُكَ أَبْغِي الْغَيْرَ مِنْكَ فَهَرَبَنِي بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ صُفُوفُ
 فَلَا تَجْعَلَنَّ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ مَخُوفُ
 فَاسْتَضَعَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْتَضِطُّ عَنْ فَرَسِهِ . ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدِرْهَمَيْنِ وَثَوْبًا يَثْوَبَيْنِ . فَتَوَدَّتِ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَعَتِ الثِّيَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيُّ وَآخْتَلَطَ
عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَمَّا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ يُبْقِيَكَ
لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِحَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهَا (للقلوبي)

الخارجي والمعتصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَيْمَ بْنَ جَبِيلَ الْخَارِجِيَّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ حَيَّاهُ بِهٖ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَلَسَ
الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنُّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
يَا تَيْمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبَرُ اللَّهِ بِهِ صَدْعَ الدِّينِ . وَلَمْ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخْمَدَ شَهَابَ الْبَاطِلِ .
وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُغْرَسُ الْأَلْسِنَةُ وَتُصَدَّعُ
الْأَفْنِدَةُ . وَأَتَمُّ اللَّهُ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ وَأَنْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْغَفْوِ وَهُوَ
أَلْيَقُ شَيْئِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أُنْشَدَ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنُّطْعِ كَأَمَّا بُلَا حِظْنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَقْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَمْرِي بِمَا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ وَسَيْفُ الْمَنَآيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أُمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْعَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتٌ
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَقَّتُ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِبِينَ بِغِبْطَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ الْأُخْدُودَ وَصَوَّوْا
قَالَ فَبَكَى الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا ثُمَّ قَالَ : كَادَ
وَاللَّهِ يَا تَسِيمُ أَنْ يَسْبُقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ وَلِصِّيتِكَ . وَأَعْطَاهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلاً استغاث به وكان خائفاً على دمه فجوزي على احسانه
٣١٨ حَكَى الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَاحَ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ السَّعَصَعُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَرُوا فِتْنَةً
عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ
السَّفَاحِ وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ . فَقامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبَرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِابْتِتَاعِ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَذَرَ كُرْنِي . فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بَابَهَا مَقْشُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيئًا جَالِسًا
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ : خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَذَرَ كُهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مُرَجَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَذْخَلَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ . وَأَشَارَ إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِمْ وَقَالَ
 لِي : لَمْ أَشْلَحْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا . فَلَبِسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَذْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةٍ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْتَهُمْ . فَمَا لَيْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَلْبِي . فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي : لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي . ثُمَّ تَرَلَّ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ
 يَرْنِي . فَقَالُوا لَهُ : نَفَقَسْ بَيْتَكَ . فَقَالَ لَهُمْ : دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ . فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَنَفَقَسُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حُرْمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا . فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَنْدَحُ مِنْ تَائِيْسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي مُدَّةَ
 ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْخَلْقَ بَوَالِي نِعْمَتِي . فَقَالَ : أَمَا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَايَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسِيَّةٌ دِينَارٍ وَقَالَ لِي :
 كُلُّ أَحْتِيَاجٍ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ فَأَمْهَلْ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الرَّاْيَ رَأَيْتُكَ . فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِيَ وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ . فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسَرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمَتَّعِيَا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بَغْدَادَ وَلِكِثْتُ بِأَيِّ جَعْفَرِ
الْمَنْصُورِ . فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا كُنْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجَرَ الْعَمِيقَ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ . فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ . قُلْتُ : لَيْسَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْفَظْ بِهِ وَعَدَا أَتَيْتَنِي بِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ قُدِّرَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعُقُوبِكَ . قُلْتُ : سَمِعَا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُعَيَّدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَرَكْنَتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي . وَلِكَثْرَةِ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَّشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ قَيْدِهِ
فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا . كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيَرُوحَ عُنْتِي . فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامَانِي فَجَاءُوا
بِالْعَائِدَةِ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ . فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدَيْنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ : مِنْ الشَّامِ . قُلْتُ : أَتَعْرِفُ فُلَانًا الْفُلَانِي
فِي الشَّامِ . فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرِفُ بِهِ مِنِّي إِذَا تَسَأَلَ عَنْهُ . قُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفٌ وَعَبْدٌ إِحْسَانِهِ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِيَ فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ .
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ . فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ . فَطَارَ عَظْمِي مِنْ رَأْيِي

فَرَحًا بِهِ فَبَجَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقُّقَهُ قَعْنْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَرْتُ أَقْفَالَ
قَيْودِهِ وَهُوَ يَسْتَبَعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعِلْمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ ثِيَابًا
فَأَبَى لِبَسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبَسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مُرَادُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْقِذَكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنْ بَغْدَادَ بِسَرَّاجِلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَبِيلِكَ . فَقَالَ : أَسْمِعْ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّارِبُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذُ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِيَ سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . قُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي ذُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفِتْنَ فِي الشَّامِ وَأَنْ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ عِنْدِي وَدَانِعَ . قُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِلَيَّ أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنْ إِحْسَانُكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جِدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَظُنْ أَنَّنِي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصَوِّبُ وَهُوَ : دَعْنِي
مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَمْضِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَشْتَت مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَا عَنْكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرُبَ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَكُونُ
أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَقْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي مَعَكَ
بِشَيْءٍ . (قَالَ) ثَلَاثًا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِلَّا هَذَا وَضَعَهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَانِي وَحَدِي قَامَ عِرْقُ الْقَضْبِ بَيْنَ
صَيْنِهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هِيَ

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْرَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَفَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ . فَالْتَدَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أُطْلِقَهُ أَمَلًا بِحَبْلِكَ
وَأَتَكَلَّأَ عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لَعَاكَ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتُطْلِقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَيِّرَنَا بِإِحْسَانِهِ لِتَقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَنَجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحَسُّرًا
وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَكَبِيرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
يَا بَإِي وَأَمِي إِنَّ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرُبَ إِخْرَفِهِ عَلَى عُنُقِي
مِنْكَ فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخَيِّرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَالْأَرْجَفْتُ فَأَحْضَرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ بِرِجْلِهِ
الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفٍ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ إِلَيْكَ .
فَامْضِ مُسْرِعًا وَأَلْتِنِي بِهِ مُكْرَمًا مُوقَّرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي وَدَخَلْتُ
عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَبَيْنَ مَا رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ وَأَكْرَمَهُ
وَحَلَعَ عَلَيْهِ خِلْمًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ . وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ
أَنْ يُؤَلِّيَهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأُطْلِقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقَّرًا وَأَرْسَلَ مَعَهُ
الْكِتَابَ لَوْلَاتِهِ يَا مُرْهُم بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِحَوَائِجِهِ (لِلتَّلِيدِ)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْفُكَاہَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَادٍ بِحَبِّ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَةً :
بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَنُورِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا مِنْ جَدِّوَاكَ جِلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمُ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلَبِي
٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنْشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الْخُرْفُ فِيهَا وَسَاجُ نَاعِمٍ فَأَتَمَّ زِينِي
فَصَدَّقَ يَا فَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ : لَا تُعِدُّ فَتَحْلَمْ فَأَجْعَلَ حِلْمَكَ أَضْعَافًا (لِلْأَزْدِي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَافِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ :
مَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلنَّوَالِ وَمَنْ لِلْمَعَالِي وَمَنْ لِلْخُطْبِ
وَمَنْ لِلْحِمَاةِ وَمَنْ لِلْكُمَاةِ إِذَا مَا الْكُمَاةُ حَنُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَذَا كُلُّهُمْ يَمُوتُ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ حَنَّ أَيْ مَنصُورِ الْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَازَالَ لِلَّهِ خَيْرًا . وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَعْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَايَةً فِي الْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَاتَّيَدَرُ
فَحَضَرَ خَافِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْحَدَمِ فَأَعْجِبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قَفَّتِ بَيْنَ
يَدَيِ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتَكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يَعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ ضَحْكِ الْكُؤُلِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفُ جَائِزَتِكَ .
فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ
أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَتَنَظَّرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَقَفْتُ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتَضْحَكُ بِنَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَّةُ تَفْتَقُ
الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْتَمِسُ بِرَّهْمٍ .
فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزُوكَ بِخَمْسِينَ دِرْهَمٍ وَإِنْ
أَنَالَ أَضْحَكَ أَصْفَعُكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي: مَلِكٌ لَا يَصْنَعُ إِلَّا بِشْيءٍ لَيْنٍ خَفِيفٍ. وَالتَّقْتُ فَإِذَا بَجَرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلْيَتٍ. قُلْتُ: مَا أَخْطَأْتُنِي عَسَى فِيهِ رِيحٌ.
إِنْ أَصْحَكْتَهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَفَشَرْتُ صَفْعَاتٍ بِجَرَابٍ
مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيْنٌ. ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ. فَلَمْ أَدْعِ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُحَنِّثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
نَبْطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةٍ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي. وَقَرَّتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الضَّحْكِ. وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ. قُلْتُ: قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ. فَقَالَ لِي: هَيْهَ مَا عِنْدَكَ. قُلْتُ: مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ: هَاتِهَا. قُلْتُ: وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِفَهَا لِي فَضَعِيفٌ إِلَيْهَا عَشْرُ صَفْعَاتٍ أُخْرَى.
فَارَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ: نَفْعَلْ. يَا غُلَامُ خُذْ يَدَيْهِ. ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَضَفَعْتُ الْجَرَابَ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ.
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَضَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفُصِلَ رَقَبَتِي
وَطَلَّتْ أُذُنَايَ وَأَنْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي. فَصَحَّتْ: يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ.
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ. فَقَالَ: قُلْ نَصِيحَتَكَ. قُلْتُ:
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْخِيَانَةِ.
وَقَدْ صُمِنْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا.

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نَصْفِي وَبَقِيَ
نَصْفُهُ . فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلْقَى وَاسْتَفْرَهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيُمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأَتِي بِهِ . وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جَنَائِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نَصِيبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعَ وَطَرَقَ قَقَاءُ الْوَقْعِ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمُسْكِنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخْذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعَ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصُّحُوكِ مِنْ عِتَابِي لِلْحَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نَصِيبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعَدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعَكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَاً لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا وَانْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِأَبِرْهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَابِرْهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلَكِنْ كُلُّكُمْ وَاحِدٌ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَعَنِّي فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَنِّي فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
أَبِرْهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : فَكُنْتُ فِي السَّحَرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بَعْلَمَانِي وَقُلْتُ لَهُمَا :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبْتَغُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَقَعْتُ فَرَكَبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمِ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَخَفْتُ حَتَّى
وَقَعْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَأَزَلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْحَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبْنَ أُمِّي غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَغَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَالْمُوصِلِيِّ فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَصْدَقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ (الآغَانِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ اشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَاصِمَةَ الْيَحْمَدِيِّ : أَمِدُّنَا بِخَيْلِ
الْيَحْمَدِ . وَقُلْ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَمَاعَتَهُمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فَتَعَارَ . وَأَعْنَقَهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ فَتَنَّبَتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغَيْرِ جُرْمٍ تَقْدَمُ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ
ثَقِيلٌ وَظَرِيفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثُّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ حَمَلًا ثُمَّ زَلَّ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرْمَاهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى حَمَلٌ	خُذْ وَأَنْصَرِفِ أَلْفِي جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلٌّ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ	قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَاسْكُتُوا	إِذْنٌ عَلَيْكُمْ لِي سَجَلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْفِي سَجَلٌ	فَأَضْمَنْ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلَ
قَالَ تَرَى أَضَجِرْتُكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرْمَيْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوَّكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرْبَى عَلَى نَحْسِ رُحْلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى لِسَانُ بَنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي أَمْتَحَانِ
الْأَطْبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْهَيْبَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْفَظُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٍ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَصَحَّكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَفْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهَلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مَذْكَتُ مَا تَعَدَّيْتُ
السَّكَنَ جَمِينَ وَالْجَلَابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذِكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابي الفرج)

حذاء أبي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ .
وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعَ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ
مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ
يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ
سَمْسَارٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ خِمْلُ
زُجَاجٍ مُذْهَبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعُطَارِينِ فَصَادَفَهُ سَمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطِّيبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَبِعِجْلَةٍ سَفَرَهُ يُمَكِّنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أبيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذْهَبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبَسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَّاسُ الْجَدِيدُ مَدَّاسُ الْقَاضِي جَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَّاسُهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا خَرَجَ قَتَسَ عَلَى مَدَّاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرُونَ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ مَدَّاسِي لَمْ يَتْرِكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَسُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى مَدَّاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ . فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَاكْبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَّاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ . فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَّاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِييًّا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً وَغَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ مَدَّاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةٍ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَنَاصَ فِي الْمَاءِ . فَاتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَّاسُ . فَلَمَّا رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَّاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَالْظَّاهِرُ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةٍ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَظَنَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ أَلَيْتٍ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى أَلَيْتٍ فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ وَتَكْسَرُ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَفْقَرَاهُ أَفْقَرَنِي هَذَا الْمَدَّاسُ الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ . فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَارْفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَنْشَبَ عَلَى حَيْرَانِكَ حَايِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَيْفِ الْحَنَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَيْفِ فَقَاضَ وَضَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 قَتَامَلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَيْفِ فَغَرِمَ جَمَاعَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًّا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُغْتَاطٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ رَمَةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ نَأَلَهُ وَجَرَعَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَظَنُّوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَרَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِأَوَازِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَقَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتَسِبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامَنَا بَرِيٌّ مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلَهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لَطَائِفُ الْعَرَبِ)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقْلَةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ قَلَمًا فَعَلَّ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقْلَةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . قَلَمًا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْنُوهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَسْتَذِرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَخَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِسْطِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَذْفُنْشِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ لُسْتَى وَبَذَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفُنْشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطَعَهُ فِيهِمْ مَا نَقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةٍ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَتَسَوَّاءُ مَا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ
وَجَلَبَةٌ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنْجَالَهُمْ وَاجْتَمَعَ قَسِيسُوهُمْ
وَرَهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَقِيمِهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ بِح . فَشَرِبُوا وَارْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْطِيلِيَّةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَشَ (الْمُرَاكَشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مَصْرِ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُنْيَانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مَجْلَلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعَمَدِ
الْكُبَارِ شَمْعًا بَيَضَاءً أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَخُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّفَافِيجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْمُخْجَرِّعِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ الْمُتَخَيَّلُونَ . وَالْمَدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي التَّائِقِ . حَيْطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْرَّاءَةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلَتَرَأَى النَّاسَ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكِبَاهِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْتَحْيِهِمْ بِهِ وَبِالْكُسُوفَةِ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (لِلشَّرِيشِي)

٣٣١ نُسَخَةُ مُبَايَعَةِ مَلِكٍ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :

بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنَقَرَا
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عَرَفَا مِنْ جِلْقِ
قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَأَقْعَهُ بِكُورَةِ الْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
وَذَرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذِّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِإِلَّا زِرَاعِ
وَذَرْعُهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعُ الْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
وَحَازِرُ الرُّومِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ وَالْعَرَبِ مَلِكُ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
يَبْعًا صَحِيحًا لَا زِمًا شَرْعِيًّا ثُمَّ شَرَاءٌ قَاطِعًا مَرْغِيًّا
لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيَبْطُلُهُ وَلَا خِيَارَ لهُمَا يُدَاخِلُهُ
ثَمَنٌ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مَبْيُضَّةٌ
قَبْضُهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَةٌ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةً
وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى فَقَبْضُ الْقِطْعَةِ مِنْهُ وَجَرَى
بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَازِعَ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَاهِ ابْنِ تَوَمَرْتَ وَاتَّهَوْا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيِي مِنْ وَافَقَتُهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خَبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فَقِدَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتُهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ ثَوْرٍ مِنْ خِيَارِهِمْ
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمَعَ حَوَائِجَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَةً . قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخَبَاءِ وَتَدْعَنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخَبَاءُ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أَوْلِيَاكَ الْقَوْمُ فَتَوَلَّوْهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرُدَّ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَاكِشَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتَّوَا الْبَوَائِبَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَمِيدُ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَمِيدَ غَلِبَهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أُخِذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَصِيدُوا وَجُعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مُرَاكِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بَلَغَهُ أَنََّّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ. وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَقَدِّمُ
الَّذِي فِي الْحَبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَأْسِكِ إِلَى حَيْزِ الْجَزَعِ.
فَأَمَرَ بِنَفْسِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفِنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَفْشَعَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَذَبَاءَ حَدَابِيرٍ . وَضَنْتِ الْمَرَاضِعُ
عَلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبَضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيَقَنَّا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَقِي لَيْلَةً صَنِيرَ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِيئَتُنَا جُوعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةٌ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينِ وَقُمْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَا سَكَنُوا إِلَّا بَعْدَ
هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَالِنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَنَادَوْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارَتُكَ فَلَانَةُ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوُونَ عُوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَنْحِلِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَابُهَا
أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبَتَهُ بِمُدَّةِ
فَحْرٍ . ثُمَّ كَسَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَانْتَفَعَ فِي ثَوْبِهِ

نَاحِيَةٍ يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُزْعَةً وَإِنَّهُ لَأَخْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي الْيَوْمَ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكَهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبِلَا
يَرَى الْبَيْتَ سَبِيلَ أَمَالٍ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إِثَارَ ابْنِ مَامَةَ الْيَادِي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْيَادِي فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَعْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَمَا تَزُولُوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَعْبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمْرِيَّ يُحِدُّ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : أَسْقِ
أَخَاكَ النَّمْرِيَّ فَشَرِبَ النَّمْرِيَّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
تَزَلُّوا مِنَ الْعَدَمِ مِنْهُمْ الْآخَرُ فَتَصَافَتُوا بَقِيَّةَ مَلِكِهِمْ . فَظَنَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسٍ . وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ
ارْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوضِ وَكَانُوا قَدِ اقْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رَدِّ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسُوا مِنْهُ خَيَّوْا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّمْعِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكَوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أخبار العرب لابن فتيبة)

٣٣٥ من عجائب مدينة سومنة هيكَلٌ فيه صنمٌ كان واقفاً في
 وسطِ ألييت . لا بقائمة من أسفلهِ تدعّمهُ ولا بعلاقة من أعلاه
 تمسكهُ . وكان أمرُ هذا الصنم عظيمًا عند الهند من رآه واقفاً في
 الهواء تعجب . وكانت الهند يُحجّون إليه ويحملون إليه من الهدايا
 كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف
 قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود .
 وأما ألييت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصقع
 بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر
 الفايق . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت
 فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن
 السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه
 أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في
 الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت
 العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من
 حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه
 وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فوافقه قوم وخالفه
 آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب .
 فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقزويني)

الْبَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَلَوْ حَسُرَ أَهْلُكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْيَائِهِمْ أَنْسُكَ. وَاهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رَبُّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للثعالبي) أَنْشَدَ شُكْرُ الْعُلُوِّي:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضٍ تُهَانُ بِهَا وَجَانِبِ الدَّلِّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَنَبُ
وَأَرْحَلُ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ فَلَا تُدَلُّ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبَلَدِهِ فَأَلَا غُرَابٌ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلْكَحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَعْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَأَلْثَرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرِيقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ نَالَ الْغِزَّ أَجْمَعَهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بَدَارِ ذَلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَسِّمٌ فَضَاهَا

فَذَاكَ مِنْ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَقِلَ بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا طَحَاهَا
فَنَفْسِكَ فُرِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَنْعِي مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَمَ وَتَوَكَّلَ . ثُمَّ تَأَمَّلَ وَتَوَقَّعَ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
التَّلَاقِي . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَةٌ لِحِطَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَابْتِهَاجُ سَاعَةٍ وَأَكْتِتَابُ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْرَهُ الْإِجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ غُمَّةً
يُحَفِّقُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُخَازَرَةٌ
لِلرَّحِيلِ أَلَمًا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ وَأَنْسِ
الْقَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ . وَبِهِ مُصَافَحَةُ السَّلِيمِ . وَرَجَاءُ
الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالسَّكَاتَةِ (لِلْمَقْدِسِيِّ)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الوداعِ
قَالَ ابْنُ النَّظَرِيِّ :

بَاتَتْ تَصُدُّ عَنِ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْقَنَا عَةٍ لِلْمَقَامِ الْأَطْيَبِ
فَأَجِبْتُمَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَلْبُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقٌ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجَدُّ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُفْصَاةُ يَتَتَبَّ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ : فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَقَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطْيِشَ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَطْيِجَ عَلَيْهِ النَّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ مِنْ
الْفِرَاقِ . وَقَالَ النَّظَّامُ : لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتْ الْقُلُوبَ وَهَدَّتِ
الْجِبَالَ . وَلَجَنَرُ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
وَمَنْ يَنَازِعُ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُغُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقٌ
قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ :

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا
فَاجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا
كَمْ سَفَرَةٌ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ
بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ الْإِلْيَبُ وَيُزَوَّقُ
الْحَظُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمُثْلَقُ
ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْعَرِيصُ وَيَخْفِقُ
وَبِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يُنْحَقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨٠ هـ و ١١٨٤ م باختصار)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التَّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَقَرُّ فِيهَا لِْمُسْلِمِ قَرَارٌ .
مَشْحُونَةٌ بِعَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَغْصُ بِقَاطِنِيهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعًا بِسَاكِنِيهَا .
أَسْوَاقُهَا نَافِقَةٌ حَفِيَّةٌ . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيَّةٌ . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَنْدَةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادُهَا . وَالْبَحْرُ يَعْتَرِصُ
أَمَامَهَا فِي الْجَهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ التَّرَاكِبَ الْكِبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تُنْسِكُهُ وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . فَالْحَمَّالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِيْقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيفِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُضْطَقَّةً مَعَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَلَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُقْرِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ رُفَاتٌ
مُعْتَرِصٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةُ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمُدُنِ وَالْعَمَائِرِ وَالصِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةُ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتُرِدُّ بِالسُّحْبِ لِإِفْرَاطِ سُورِهِ وَيَعْتَمُ بِالثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخَضْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخَضْبِ وَالرَّفَافَةِ . مَشْهُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . . . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَاتِينَ مُشِيرَةٌ بِالتَّفَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطٍ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِبْجَاصِ
وغيرها مِنَ الْفَوَاكِهِ وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
بَسِيرٌ مِنْ ذَوِي الْمِهْنِ وَلِذَلِكَ مَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مُدْنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِيهَا. وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبَلَارْمَةِ. وَفِيهَا سُكْنَى الْخَضِرِيِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ...
وَبَلَارْمَةُ هَذِهِ مَسْكِنٌ مَلِكِهِمْ غُلِيَامٌ. وَهِيَ أَحْفَلُ مُدُنٍ صِغْلِيَّةٍ
وَبَعْدَهَا مَسِينَةُ. وَشَأْنُ مَلِكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ التَّيْدَةِ وَهُوَ كَثِيرُ
الْفَقَّةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِخَاصَّتِهِ. وَعَلَيْهِمْ يَلُوحُ
رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ. لِأَنَّهُمْ مُتَّسِعُونَ بِالْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ وَالْتَرَاكِيبِ الْفَاخِرَةِ.
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا وَمَنْ لَهُ الْعَاشِيَةُ وَالْحَوْلُ وَالْأَتْبَاعُ. وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
الْمُسْتَدَةُ وَالْبَسَاتِينَ الْأَنْبِيَّةَ وَلَا يَسِيمَا بِحَضْرَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ.
وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَبْيَضٌ كَالْعَمَامَةِ مُطْلٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَلَيْسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتَرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمٌ وَلَا أَرْقَ مِنْهُ. وَهُوَ يَنْشَبُهُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَانِينِ الْمُلْكِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أُمَّةِ
الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ. وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جَدًّا. وَلَهُ الْأَطِبَّاءُ
وَالْمُنَجِّمُونَ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْإِحْرَاصِ عَلَيْهِمْ. حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
ذُكِرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ مُنَجِّمًا اجْتَازَ بِلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ... وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الْمُتَحَدِّثُ بِهِ أَنَّهُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخْتَصِينَ بِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقُّ حَمْدِهِ
وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صُنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ. فَكَانَ تَزُورُنَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقَمْنَا بِهَا تِسْعَةَ
أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَّجِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَّارْمَةَ . وَسَرْنَا قَرِيبًا مِنْ السَّاحِلِ بِحَيْثُ نُبَصِّرُهُ
 رَأْيَ الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً رَجَّتِ الزُّوْرُقَ
 أَهْنًا تَرْجِيَةً . وَسَرْنَا نُسْرَحُ اللَّحْظَ فِي عَمَائِرَ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
 وَمَعَاوِلَ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِفَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ
 قَدْ قَامَتْ حِيَالًا مُرْتَفَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَتَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهُمَا
 النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيُظْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَاءَ ذَاتَ
 أَلْسِنٍ تَضَعُدُ فِي الْجَرَى . وَهُوَ الْبَرْكَانُ الْمَشْهُورُ حَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ حُرُوجَهَا
 مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجَبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَضَعُدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيَّةٌ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ
 تَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَدُبًّا قُذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقِي بِهِ إِلَى الْهَوَاءِ
 لِقُوَّةِ ذَلِكَ النَّفْسِ وَتَسْنَعُهُ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ . وَهَذَا مِنْ
 أَعْجَابِ الْمَسْئُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
 الْمَعْرُوفُ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ فِي بَعْضِ
 السِّنِينَ كَالسَّيْلِ الْقَرِيمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ .
 فَتَرْكَبُ ثَبَجَهُ عَلَى سَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ
 مَخْلُوقَاتِهِ . وَحَلَلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ سِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ سِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخَضْبِ وَاسِعَةٌ
 الْمَرَاقِقِ . مُنْتَظِمَةُ أَشْجَارِ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مُرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
 طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا قُنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ
 يَرَأْمَنْعُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِأَسْطُولِ يَفْجَاءَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثُرْمَةَ صَحْوَةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَنْتَقَلْنَا فِيهَا
 مِنْ ذَلِكَ الزُّورَقِ إِلَى زُورَقٍ ثَانٍ أَكْثَرِيْنَاهُ لِكَوْنِ الْبَحْرَيْنِ الَّذِينَ
 صَحِبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثُرْمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنْ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتُشْرِفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبَضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مُنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ حِمَّةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنْ اتِّخَاذِ سَحَابٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِضْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِضْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْعَدُوُّ مِنَ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِبِلَادِمَةَ خَمْسَةُ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَحَشِينَا طَوْلَ الْمَقَامِ وَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنَ التَّنْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزُّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَقِثًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصِفَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّلْنَا بَعْضَ أَسْبَابِنَا وَخَلَفْنَا بَعْضَ الْأَصْعَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورَقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّمَا السُّوقُ عِمَارَةٌ وَكَثُورَةُ
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَّافُ النَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤَسِّسُونَنَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَإِنْ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَا يُوقِعُ
الْفِتْنَةَ. حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بِنَا الْأَغْيَاءَ فَمَلَّنَا إِلَيْهِ وَبَنَيْنَا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
الْبِنَاءَ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوُضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِإِزَائِهِ
عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
وَعَلَالِي مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مُرَافِقُ الشُّكْنَى. وَفِي
أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بِهَاءَ. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
مَقْرُوشَةٍ بِخُصْرِ نَظِيفَةٍ لَمْ يَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً. وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
الْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بِلْدٌ عَذْبَةٌ فَبُنِيَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ
أَحْسَنَ مَيْتَرٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقَرَّبَةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ يَنْحَوِرُ الْبَيْلُ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرٌ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُنَائِسَ مُعَدَّةً
لِتَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مَدِينِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبُصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ اعْتِنَائِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ فَلَمَّا صَلَيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمُنِعْنَا
وَحِيلْنَا إِلَى الْبَابِ الْمُثْقَلِ بِتُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غُلِيَامٌ وَأَدِينَا إِلَى
النَّسْتَحْلِفِ لِنَسْأَلَ لَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسَرْنَا فِي
مَسْكٍ رَحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنْ الْقُصُورِ الْمُشْرِفَةِ

وَالْيَاذِينَ الْمُتَنَظِّمَةِ وَالْبَسَاتِينَ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَحَذَّةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَا رَاعَ
أَبْصَارَنَا . وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا . وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَا مِنْ مَجْلِسٍ فِي سَاحَةِ
فَيْسِيَّةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بَلَّاطَاتٌ . وَالْمَجْلِسُ قَدْ
أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا . فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَظَرِهِ .
فَاعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعُمَّالَةُ أَمَامَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
الْمُسْتَحْلِفُ يَتَهَادَى بَيْنَ حَدِيثَيْنِ يُحْفَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ . فَأَبْصَرْنَا
شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَمَةٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْسَ فَاعْلَمْنَاهُ . فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصِرَافِنَا
بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالِدُعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ . وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعَلِّمُهُ
بِهِ . وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَزَلَّلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّلَاثِي
وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجَّةٍ . وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بَلَّاطًا
مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسْتَقْفٌ حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ . فَاعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَسْقَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
(ذِكْرُ بَلَارْمَةٍ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ . وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
وَالْحَضَارَةِ وَنَضَارَةِ . فَأَشْبَتْ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ . وَمَرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ .
أَخْضَرَ . عَيْقَةً أُنَيْقَةً . مُشْرِقَةً مُوْبِقَةً . تَتَطَّلَعُ بِمَرَايِ فُتَانٍ . وَتَتَحَايَلُ
بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ . فَيْسِيَّةُ السِّكِّ وَالشَّوَارِعُ . تَوُوقُ

الْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَارِعِ . عَجِيبَةُ الشَّانِ . قُرْطَيْبَةُ الْبُنْيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَنْحُوتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْقَاهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زُخِرَتْ فِيهَا لِمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِيَّةَ . تَنْتَظِمُ بِلَبَّتِهَا قُصُورُهُ أَنْتِظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكَوَاعِبِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ ثُرَاهِ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ لَهُ
 فِيهَا مِنْ مَقَاصِدَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاطِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجِبَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زُخِرَتْ بُنْيَانُهَا . وَرُقَّةَ بِالْأَقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُفْبَانُهَا . وَكَثَائِصَ
 قَدْ صِغَعَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صُلْبَانُهَا . . . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى . وَالْأَسْوَاقُ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ التَّجَارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِحُطْبَةٍ وَدَعَاوُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطَبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ . وَعَلَى هَذَا الْإِمَالِ وَضَعَ قُرْطَبَةَ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارُ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمُسَيَّدَةُ . لَهَا مَنَاطِرُ فِي الْجَوِّ مُظْلِمَةٌ تُحَادُّ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَادَرْمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبَ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْيَلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِ لَهُمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ احْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرَأَى
 يَنْجِزُ الْوَصْفَ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمُرْخُوفَةِ .
 جُدُّهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ الْأَوَاحِ الرُّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يَرِ

مِثْلَهُ قَطْ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُضُوصِ الذَّهَبِ وَكُلِّتْ بِأَشْجَارِ الْفُضُوصِ
 الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَغْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمَذْهَبَاتِ مِنَ الرُّجَاجِ . فَتَخَطَفُ الْأَبْصَارُ
 بِسَاطِعِ شُعَائِهَا وَتُحَدِّثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي تُنْسَبُ
 إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذِهِ الْكَيْسِيَّةِ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْيَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ وَعَلَيْهَا
 قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتُعْرَفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ
 مَا يُنْصَرُّ مِنَ الْبُنْيَانِ . وَزِيُ النُّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُ نِسَاءِ
 الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَحِفَاتٌ مُتَقَبَّاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا الْعِيدِ
 الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبَسْنَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمَذْهَبِ وَالتَّخَنُّنِ الْخَفِّ الرَّائِقَةِ
 وَانْتَقَبْنَا بِالثَّقَبِ الْمُلَوَّنَةِ . وَانْتَعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا لِكُنَانِسِهِنَّ
 حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالتَّخْضِبِ وَالتَّعْطُرِ . . .
 وَكَانَ مُقَامُنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَتَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ فَنَادِقِهَا
 الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صُبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُنْشَ بِسَبَبِ مَرَكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 حَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ تَوْ مِثْلَ ثُرْبَتِهَا طَيِّبًا وَكَرَمًا وَاقْتِمَاعًا . فَشَبَّهْنَاهَا بِقَنْبَانِيَّةِ
 قَرْطَبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتٌ . وَبَشْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةِ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَالزَّوَايَا

وَسُكَّانُ هَذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ. وَقَفْنَا مِنْهَا
 سَعْرَ يَوْمٍ. أَلَسَتْ فَاجِزْنَا بِمَقْرَبَةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَمَّةِ
 وَهُوَ بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَمَا
 عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ. فَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحَانِ الْأَبْدَانِ بِالِاسْتِحْصَامِ فِيهَا.
 وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابُنْشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ أَكْثَرِنَاهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابُنْشَ) هِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَثِيرَةٍ
 الْمِسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بِنِضَاءٍ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَاسِي
 وَأَوْفَتْهَا لِلْمَرَائِبِ. وَلِذَلِكَ مَا يَقْصِدُ الرُّومُ كَثِيرًا إِلَيْهَا وَلَا سَيِّئًا الْمُقْلِمُونَ
 إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَالَسَفَرُ مِنْهَا
 إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثًا لَا تَهْبُ الرِّيحُ الْمُوَافِقَةُ.
 فَمَجَّرَاهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْمَجَازِ الْقَرِيبِ. وَيَهْدِيهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
 وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمُدُنِ. لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ
 الْبَحْرِ لِإِحَاطَتِهَا بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 ضَبَّتِ. وَالْبَحْرُ فَاعِرٌ فَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَوْنَنُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ
 مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
 السَّفَرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَخْرَجٍ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلِكُلِّ الْقَرِيقَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ. وَبُرُكْنِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَائِلًا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرَطُ السُّورِ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ فَنَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهَذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالْتَرَارِغُ .
وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ عَيْنٍ مُتَفَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَثْرُكَوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا فِيهِ
ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَنُوا بِحَادِثَةِ حَصْنُوا حَرِيصَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
القَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ . وَشَأْنُ
هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَفَجِّرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بَشْرِ عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرَشِيَّةُ مَاوُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
لَا يُسَاعُ . وَالْفَيْتَا الْمَرْكَبَيْنِ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَوْمِلُ رُكُوبَ أَحَدِهِمَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
وَاللَّهُ بِسَعُودِ صُنْعِهِ الْجَبِيلِ كَفِيلٌ بِشَيْءِهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرَسَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِقَارٌ
مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِسَلِيطَةِ وَالْأُخْرَى بِبَابَةِ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
بِالرَّاهِبِ تُسَبَّتُ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءٍ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْبُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاوْنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُسَوَّجِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَا بِن جِيد)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ

فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقُرُونِيُّ: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَغْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَغْيِيرِهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَغَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ أَنَّ ذَلِكَ الْخَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هَذِهِ الْمُسَدَّاتِ الْمُنْتَاسِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَاقِظُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْمِسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بَيُوتَهَا الْمُنْتَاسِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالَفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرِغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشِّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغِذَاءَ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءِ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ فَلَا يُنْشِفُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبْقَى كَالْبَرْنِيَّةِ الْمُصَمَّمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاعْدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ قَدْرِ التَّجَرُّبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا وَقَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَغْرَقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أُنْسَ بِسُدْرِكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ
بِالتَّسْنِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْيَاءَ تَتَحَيَّرُ فِيهَا
عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكَيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبَحَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَخَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاقَةٍ ثُمَّ يَنْظُرُ
إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّارِ حَرِيَّةً . وَبَعْضُهَا
حَمَالِيَّةً . وَبَعْضُهَا دَوْلَابِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيشًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ
تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
الْوَانِيَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَسِيلُ إِلَى الْخُمُرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسْطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشِّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ أَثُورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُثْبِتَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أُمْتَلَانِهِ وَانْحَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُحُوفِ الشَّمْسِ
وَكُحُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْحَجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكٍ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيَا ذَكَرْنَاهُ تَبْصِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشَّهْبِ
وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالْثُلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَلِنَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَكَيْفَ الرِّيَّاحُ فَإِنَّهَا
تَتَلَاَعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَرشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَيْقٍ . فَلَوْ عَسَبَهُ صَبَابًا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِحَدِيثِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ الْحَاجَةِ فَيُعْقِنُ
النَّبَاتَ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحُبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُزِيي الزَّرْعَ وَالشَّجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ أَكْنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَقَرَأَهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَاسَ الْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّامِخَةِ كَأَوْتَادِهَا لِمَنْعِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
ثُمَّ إِلَى إِيدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَاقِهَا كَالْخِزَانَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْقِي
مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَخِيَمًا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
زُلُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْقَابِلَةِ . وَيَنْصَبُ فَاضِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِلَى خَلْقِ اللَّوْثِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِبْنَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعَنْبَرِ وَأَصْنَافِ النَّفَاسِ الَّتِي يَفْذِفُهَا الْبَحْرُ وَتُسَخَّرُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيهَا بِالرِّيَّاحِ
وَالِى اتِّخَاذِ آلَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَائِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَابُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَمِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأُتْحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَزَجِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّرْجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيشِهَا
وَاتِّخَاذِ الْحِلْيِ وَالْآلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّفْطِ

وَالْكَبِيرِيتِ وَالْقَيْرِ وَغَيْرَهَا وَأَجَلَهَا الْعِلْجُ فَلَوْ خَلَتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ لَتَسَارَعَ
 الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لَيَنْظُرُ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْأَوْكَاهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَايِحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاقِئِ مُطَوَّقَةٍ بِعَنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لَيَنْظُرُ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابَهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّمَا إِذَا نَزَلَ الْقَطَرُ عَلَيْهَا اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيمٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَأَخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَبْتَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ
 فَهَمُّ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لَيَنْظُرُ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْقِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لَيَرَى عَجَابَ
 دَهْشٍ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النُّحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ . لَيَرَى مَا يَتَخَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بَنَائِهَا لَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغَذَاءَ
 وَأَدْخَارَهَا لَوْقَتِ الشِّتَاءِ وَحَذَقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَابِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جَرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

الطَّبِيعِيُّ الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ (*) . زَعَمَ الْمُتَجَمُّعُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ . وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ . وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ . وَالْمَرِيخَ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ . وَالْمُشْتَرِيَّ
كَالْقَاضِي . وَزُحْلَ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ . وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي .
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِمِ . وَالْبُرُوجَ كَالْبُلْدَانِ . وَالْدَّرَجَاتِ كَالْعَسَاكِرِ .
وَالدَّقَائِقَ كَالْحَالَ . وَالْثَوَانِي كَالْمَنَازِلِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِيِّ . إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ . وَلَوْ أَنَّهَا انْحَدَرَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ . وَلُطْفَ آخَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوقَفَةٍ
وَالَا شَتَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهُمَا . لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَزَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازٍ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ حَظًّا مِنْ شُعَاعِهَا . وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِتَعْمَّ فَإِنْ دَنَتْهَا أَمَا إِلَى الْجَنَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعلى أن الشمس في جوف الفلك ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل . فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس
وأبطل ما اعتقده القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةِ قَتِيلٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْقَرْبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّامِحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
جَرَمَ الْقَمَرِ كَمَدٍّ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسُ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ الرَّأْسِ أَوِ الذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْثٌ لِأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشُّعَاعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْعُلُويَّاتِ فَإِخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبُحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَبْجَرَةً بِسَبَبِ السَّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبُحَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبُحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُخْبِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج
النبات . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تثبت
بنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا تثبت تحت
الخليل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شي من الزروع
لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وترداد عند أخذ الشمس في الأرض تفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذبلت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإننا
نرى الحيوانات إذا طلع نور الصبح خالق الله تعالى في أبدانها قوة
فتظهر فيها فراهة وانتعاش قوة . وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال ترداد ضعفا إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر وحسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مسكانه الطبيعي الفلك الأسفل وهو
جرم كثيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَالِلُ . ثُمَّ يَتَرَايِدُ الْإِنْحِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَرَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَنَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَنْحَقُ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نَقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اِعْتِبَارُ أَهْلِ التُّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ التُّجَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَنتَهَى الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لَحْظَةِ الْبَحْرِ وَقْتُ ابْتِدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجٌ فِيهَا
 رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْخِزْرِ نَقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
 كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ رِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
 وَعُلُوجًا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَأَبْتَدَاهُ
 قُوَّةُ الْمَدِّ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْحِجْرَةِ وَالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِ

٣٤٤ وَهِيَ أَلْبَيَاضُ الَّذِي يُرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُجُّ السَّمَاءِ إِلَى
 زَمَانِنَاهُ هَذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارُ
 مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
 فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْمَجَرَّةِ فَطُمَسَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ
 وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
 السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
 الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَدَّةً
 مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ...
 وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِ فَإِنَّ عِدَدَهَا مِمَّا يَقْضَرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
 ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
 ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ تِسْعِمِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
 مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
 الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْجِسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

السَّمَاوِيَّ مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّوَرِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامًا الْخَلْقَةِ مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانَاتٍ وَبَعْضُ الْآخَرِ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانَاتٍ آخَرَ كَالرَّامِيِّ . . . وَإِنَّمَا
أَقْوَاهُ هَذِهِ الصُّوَرِ وَتَمَوُّهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعْرَفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ وَمَوْقِعَهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوِ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَاعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وَرُودُ الْفُصُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِجِ .
فَلَوْ أَثْقَلَ مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُصُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ بُرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَ النَّسيمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتِ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّورُ .
 وَاخْضَرَّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكُونَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَبَتِ الْبِهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيْنَتْ
 لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَحِينَئِذٍ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَقَامَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَسَخَنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَ الثَّمَارُ
 وَجَفَّتِ الْجُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمَتْ الْبِهَائِمُ .
 وَاشْتَدَّتْ ثَوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْحَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَبَسَ
 الْعُشْبُ وَأَذْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاتَّسَعَ لِلنَّاسِ الْقُوتُ
 وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبِهَائِمِ الْعَلَفُ . وَتَكَمَّلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِأَلْفَةٍ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْنَقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَنِدُ أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشْوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْحَرِيفُ
 زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْزَاقِهَا . فَيَحْتَنِدُ بَرْدَ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيَرُ الزَّمَانُ وَتَنْقُصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَيَبْسَتِ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الثَّمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالْثَمَرَ وَعَرِيَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَانْتَحَرَتِ
 الْحُمُرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِقَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوتَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْعَلِيظَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغْيَرُ الْهُوَاءُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْلَةٌ قَدْ وَلَّتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَشِنَ الْهُوَاءُ وَتَعَرَّتِ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْزَاقِ . وَفَنِيَتِ بَطُونُهَا وَمَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَانْتَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُتُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلِمَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبِهَائِمُ وَضَعُفَتِ قُوَى الْأَبْدَانِ . وَمَنَعَ

الْبَرْدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرْدَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَانْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعُدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمْلُغُهُ صَائِفًا لَمْ تَغْلُ
 قِدْرُهُ شَايِتًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرَمَتْ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَنْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالْثُلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْزُونَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ
 مَنَافِذُ ضَيْمَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهَا لَوْصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِئُ مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضَلَ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَأْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَارِي . وَيَمُطِرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبَهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمَكَنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمَقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَهَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ الْأَعْظَمَ لَحَاطًا بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِيٌ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
غَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدِثًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةٌ مَلَسَاءَ
وَلَا مُصْمِتَةٌ بَلْ كَثِيرَةُ الِارْتِفَاعِ وَالْإِنْخِصَاصِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَاقِدُ وَخُلُجَانُ . وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ بِمِائِهَا وَبُخَارَاتٍ وَرَطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةٌ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
شَيْءٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَالْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلُهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا يَأْيِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتُرْسِ وَلَوْلَا
ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بَنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
جَاهِلِيَّتُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
فِثاغورس مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
بُرِيَ مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
فَإِذَا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
وَتَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَامِخَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا بَرْدٌ الزَّمِيرِ وَمِنْ
أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْثُرَانِ وَيَنْظُرَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَنْثَنَ فَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا
سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا أَرْتَفَعَ انْصَمَّتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا. فَثَقُلَتْ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلٍ. فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبَخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا.
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ الْبَخَارَ فِي الْعَنِيمِ وَكَانَ ذَلِكَ تَلْجَأً لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ فَتَخْتَلِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّفْقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ. وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِئًا أَرْتَفَعَ الْبَخَارُ فِي الْعُيُومِ وَتَرَاكُمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطُنٍ
مَنْدُوفٍ. فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّهَرِيرِ مِنْ فَوْقُ غَلِظَ الْبَخَارُ وَصَارَ مَاءً
وَأَنْصَمَّتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا. وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطَرَاتُ الصَّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا. فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ فِي طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ. وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْخَرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَثُرَتْ صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
قَلَّتْ وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ تَنْجَمِدْ تَزَلْ طَلًّا وَإِنْ أَنْجَمَدَتْ تَزَلْ صَفِيحًا
فِي الرِّعْدِ وَالْبَرْقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجُمُوعُ دُخَانًا. ثُمَّ الدُّخَانُ
يُمَارِجُهُ الْبَخَارُ وَرَفَعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ. فَيَنْعَقِدُ

الْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
وَأِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يُمِزُّ السَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنيفًا
فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
فَرُبَّمَا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تُضَرُّ الْحَشَبَةَ وَرُبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
فِي الْحِرَّةِ وَلَا تُضَرُّ الْحِرَّةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَعِلُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا
لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرَّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
لِحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوحِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمُوجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوحِ
الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُيُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِكَثَافَةِ أَجْزَاءِ الْغَمَامِ .
فَإِنَّمَا إِذَا تَكَاثَفَتْ انْحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ زَلَّ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا أُحْتَبَسَ الْمَاءُ
ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يُجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(*) قد انفتح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسببة عن الكهرباء وقد
أنواع على شرح ذلك في كتبهم

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب الحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢م)
 ٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ تَرَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكُمَا إِلَى
 طَاعَتِنَا فَأَبَى. فَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَاخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا
 فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحَ وَرِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سَاطِنَ مِنْكَ عَلَيْكَ.
 فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حُتْفِهِ بِظُلْفِهِ. وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ. وَالسَّلَامُ
 ذَكَرَ مِرَاسَلَةَ تَيْمُورِ سُلْطَانِ عِرَاقِ الْعَجَمِ أبا الْفَوَارِسِ شَاهِ شِجَاعِ

٣٥١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ
 مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ
 رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنِعَمْتَ. وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ
 قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْخُرَابَ وَالْقُحْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِثْمُ كُلِّ ذَلِكَ عَائِدٌ
 عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ
 لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ.
 فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَيْتُ إِلَيْنَا مَا
 حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِتَاجِيتِكَ مِنْ

الظلم والغيث والفساد في الأرض . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَتَّقِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِمَصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجَرِّبَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقًا بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَاتَّخَذَ عَنْ الْإِيمَانِ . وَتَبَادَرِ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَخْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِي عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حلب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صَدَرَ هَذَا الْمَكْتُوبُ الْعَلِيِّ الْإِمَامِيِّ عَنِ الْأَمْرِ الْعَلَوِيِّ الَّذِي
دَانَتْ لِعَاطَتِهِ الْكَرِيمَةِ مَمَالِكُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ . وَانْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ
الْأَفْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَالِيَةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَفْطَارُهَا الْقَاصِيَّةُ وَالْدَّانِيَّةُ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ
وَالْمَلِكِ الْمَسِيحِيَّةِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانِ
قَرَانِصَةِ لُؤَيْدِ ابْنِ السُّلَاطِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ الْمُنَارِ
أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحَقِّهِ فَكُنَّا بِهَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَالِيَةِ مَدِينَةِ مَرَاكِشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِنَا الشَّرِيفَةُ مِنْ عَوَائِدِ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَّا بِاللهِ الْجَمِيلَةِ الْمُفْعَمَةِ السَّجَالِ. الْمُنْتَالَةِ فِي الْبُكَرِ
وَالْأَصَالِ. لِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْمُحَوَّطُ الرَّزِيلِيُّ عَلَى مَرَسَى ثَغْرِ أَسْفَى الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضْحُوبَ مَعَهُ خُدَّامِنَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادَرُوا بِوُضُوعِهِ إِلَيْنَا
فِي الْقُورِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَبَّةِ وَتَأْسِيرِ
الْهُدْنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْقَرَانِصِيِّينَ
الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ
وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ أَسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْلِهِ. وَأَجْبَنَّاكُمْ
عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ وَبِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيِّ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَاقِيِّ. فَصَدَّ أَنْ
يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ خَدِيمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمِثَابَتِهِ
فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيَسْلَمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ أَسْفَى فَقَدْ خَدِيمُكُمْ مِنْ
الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْتَصَّ بَعْضُ
الْخُدَّامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمِهِ
وَيَعْنِي أَنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَقَلَقَ قَبْلَ
وُضُوعِهِ. وَالْخَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغْرَاضِ سَيِّدِهِ لَا يَسْتَفِزُهُ شَيْءٌ
عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ إِلَّا تَرْعَاجُ قَبْلِ اسْتِدْفَائِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتُؤَقِّفُوا أَنْتَ لَمْ نَقْصِرْ فِي أَنْغْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّةَ لَدُنَّا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
الْكِتَابُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْبِ النَّبِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مَرَاكِشَ وَفَاسَ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُلُوكَهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَاكِ
السَّعَادَةِ شَمْسُهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جَنْسِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَيِّ
أَمْرُهُمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ الْمُتَمِّصِينَ الْإِخْبَارَ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُوْنُصُوكُمْ بَرْطُلَمِي
دِ بَطْنِيرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ خِدَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُقُهُ
فِي الْمَمْلَكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعَدُ بِكَ
رَعِيَّتُكَ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفْنًا مِنْ سَفْنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى أَيَالَتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُذْنَا مِنَ الصَّخْرَاءِ اِنْجِزْهُمْ اِلَيْكُمْ بَعْدَ الْاِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيَا لِلْمُهَادَنَةِ
وَالصَّلَاحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصْلُكُ سِتَّةً مِنْ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةً مِنَّا اِلَيْكُمْ . وَخُذْنَا الْمَذْكُورَ لَا تُبْطِؤْهُ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ اِلَيْنَا عَزَمًا
بَعْدَ قِضَاءِ الْغَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ اِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ .
اَنْتَهَى . صَدَرَ الْاَمْرُ بِكِتَابِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ اَنَا صَبُّ اِلَيْكَ سَامِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقُ بِلِسَانِي .
وَأَتَمُّكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي وَتَخْصُكُ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَفْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُحَمَّدٍ عَلَى الْاِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَابِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِدُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مادية

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةٍ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تَضَاحُكُ الشَّمْسُ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُعَلِّمُهَا فِيهِ مُشْرِقَةٌ بِمَائِهَا . حَالِيَةٌ بِنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ اسْتِمْتَاعٍ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

(فَكُتِبَ إِلَيْهِ) : هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
 انْتِبَاحُهَا وَحَثُ الْمُطِيعِ فِي انْتِبَاحِهَا . فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْيَقِ مَنْظَرِهِ حُسْنُ وَجْهِكَ وَطِيبَ شِمَائِكَ . وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ : الْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتُهَا . وَالصَّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا . وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسُنَتْ كَانَهَا أَعْيَادُ .
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ . وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُ دَوَائِعِهِ
 تَصَاقُبُ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ . ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ الْمُجَدَّدَةُ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْغُرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَخْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ) : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى
 الظَّمَأَ بِفِرْقَتِكَ اسْتَوْجَبَ الرِّيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ . وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَيُؤْنِسُنِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَعَلْتُ . (فَأَجَابَهُ) : أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًا يَمْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفُرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ) : يَوْمَنَا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا . فَحَلَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا . وَبَكَتْ طَيْبُ الشُّمُولِ وَيُسْفَى
 الْغَلِيلُ . فَإِنْ تَأَخَّرْتَ قَرَرَتْ شَمْلُنَا . وَإِنْ تَعَجَّلْتَ إِلَيْنَا نَظَّمَتْ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ ضَعِيفٍ أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرِوْفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِتَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِحَبِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَأَسْتِكَانَتِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَجْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَفْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهِدِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْضَعْتَهُ فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارَ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالْدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْقَدَرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تُخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر برّد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعدّها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ أَلْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطَفْتَ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعُ وَأَوْفَعُ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرَتْ
بِي هِمَّةُ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلَنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَرَتْ هِمَّةُ بَلَغَتْ بِهَا بِأَبْكَ يَا ذَا الدَّاءِ وَالْكَرَمِ
حَسَنِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمَلِكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتَنِي فَنَهَى مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتَنِي فَهَوَى مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جارية من جوارى المأمون تفاحة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرِّعْيَةِ فِي أَلْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتُرَ أَطَافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخَفُّ مَوْنُوتَهَا وَتَهْوَنُ كَلْفَتُهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا النَّعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأُحْيَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعَرِّبَ لَكَ عَنْ
فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَخَاسِنِهَا وَأُشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بَعَيْنُ
الْجَلَالَةِ وَلَتَحْظَاهَا بِمُقَلَّةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
أَلْفَاكِهِمُ التَّفَاحُ أَجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التِّبْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنْ
الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْقَمُّ بِطَعْمِهَا
كُتِبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ فِي الْمَهْرَجَانِ :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِالْإِطَافِ الْعِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
كَانَتْ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَانِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تَكْرُمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يَغِزُّ عَلَى الْهُوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِ

فصول في التهنة

كُتِبَ السُّلْطَانُ الْغَزِي إِلَى ابْنِ مَقْشَرٍ الطَّبِيبِ النَّصْرَانِيِّ يَهْنئُهُ بِبَرْنِهِ مِنْ مَرَضِهِ
٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِنَا سَلَامُهُ اللَّهُ سَلَامُ اللَّهِ الطَّبِيبُ
وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَبَرِّهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجِسْمِ وَطَيَّةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعِشْرِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لَا بِي الْفَرَجِ)

في التَّوَصُّيَةِ

كِتَابُ ابْنِ بَكْرٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْنِفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ
وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارَ . وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَهُ الْأَمْتَحَرَفَا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِيهِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرًا وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرُبُوا أَخْلًا
وَلَا تَحْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُشْرًا . وَلَا تَعْرِوْا بَهِيمَةً إِلَّا
بَهِيمَةَ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَعْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَاحَبْتُمْ .
وَسَتْمِرُوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانٍ رَهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَسْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ (تَارِيخُ الشَّامِ لِلْوَاقِدِيِّ)

كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِابْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ أَتَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ . وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيُسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيُنْفَذُ أَمْرُكَ .
فِيهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْعِمَكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرِسْ
مِنَ النِّعَةِ أَشَدَّ مِنْ اخْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ
سَقْطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَعْتُرَ عَثْرَةً لَا لَعَالَهَا (أَيْ لَا إِقَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ يَتَّقُونَ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ اخْتِرَاسًا مِنَ الْمُعَاصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا
كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنْ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَالْأَنْصَرُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُّهُمْ . وَلَا
تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْتَفِقُ بِهِمْ حَتَّى يَلْبَسُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ

قُوَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِم
بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُحْيُونَ فِيهَا
أَنْفُسَهُمْ وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمَتَتَهُمْ . وَنَحْ مِنْأَزَلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
الْصُّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ . وَلَيْكُنْ
عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نُصْحِهِ وَصَدْقِهِ .
فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَيْكُنْ مِنْكَ
عِنْدَ دُنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الْأَطْلَانِعَ وَتَبَثَّ السَّرَايَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَيَقُّظُ مِنَ أَلْيَاتِ جُهْدِكَ . وَاللَّهُ
وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الدم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لِلْمَعْرُوفِ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ .
فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْقِرَهُ . وَفِي وَلِيِّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَوَّسَلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِلِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فِرَادًا مِنَ الْفَقْرِ وَرَجَاءٍ لِلْغِنَى وَازْدَدْتُ بِهِمَا بَعْدًا مِمَّا
فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ أَلَلَانِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
لَأَتِي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي . أُبْرِتُ بِالْيَأْسِ مِنْ

أَهْلُ الْبُخْلِ فَسَأَلْتُهُمْ . وَنُهِيتَ عَنْ مَنَعَ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فَمَنَعْتُهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَبِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَحِلُّ مَوَدَّتِكَ بِالْمَحَلِّ النَّفِيسِ وَأَتْرُكُهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضَرَاعَتَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغْيَرَكَ عِنْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَبِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى الْقَسِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبدالله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ غَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . ابْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ وَأَعْتَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأُطْمَعِنِي أُولَئِكَ فِي إِحَانِكَ وَآيَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ غَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْنِنَا عَلَى اتِّلَافٍ . وَافْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضاً في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَحْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِحَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُشْبِي وَاحْتِبَاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي . لَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقْدِّمُ عِنْدِي تَعْدِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يَقْبَحُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَفْتَحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّقْرِيعِ اللَّطِيفِ .
 فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ الَّذِي
 لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلَّظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
 أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا أَسْتَحِقُّهُ
 عَنْكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :
 ٣٧٩ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانِ اللَّذَاتِ عَنْ
 النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

(فلما قرأه الرشيد رمى به الى يحيى وقال له : يا ابي اقرأ هذا الكتاب
 واكتب اليه بما يردعه عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد) :
 حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ . قَدْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا
 أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ اللَّذَاتِ عَنْ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
 الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ . فَعَاوِذُ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يُزِيئُهُ أَوْ
 يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ . وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم المهدي

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنَاتِ الْخِلَافَةِ
 بِغَيْرِ كَلَامِ الْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلٌ إِلَى الْهَوَى
 وَالرَّأْيِ لِلنَّاسِ مِنَ الْمُخْلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
 لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَبْيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ الْهَوَى مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْعَامِ تَغْرِيرُ
أَهْوَى بَدْنِيَا يُصِيبُ الْمُخْطِئُونَ بِهَا حَظَّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
فَأَزْرَعُ صَوَابًا وَخُذْ بِالْخَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُدَمَّ لِأَهْلِ الْخَزْمِ تَذْيِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
وَلِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفُزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَانَتِهِ التَّقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَرِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
وَشَهَرْتَ بِمَخَاسِنِهَا . فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَبْتَدِرُونَ وَدُكَ وَيَتَمَسَّكُونَ
بِعَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المديبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا
إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَسَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيُقَدِّمُهُ
أَخْتِيَارَكَ . وَيَقَعُّ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) إِنَّ مِمَّا يُطِيعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا وَأَسْرَجْتَهَا بِمَا
فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْناسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجِنُّ إِلَى عُصْرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مَنَبَتَهُ وَتَوَلَّى فِي مَغْرَسِهِ ضَرْبَ بَعْرِقِهِ وَسَمَقَ بَفْرِعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ الطَّيْبَةَ

فصل له ايضاً

٣٨٣ أَلَسِنُ الْعَيْقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَفْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمَ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ سُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَشْهُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَشْهُورٌ حَقِيرٌ
تَلَنَسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ ثَلَمُهُمُ الْمُجَدَّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمُ وَالنُّحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَلِإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكِ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْسَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَقْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُؤَيِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

يَا اللَّهُ الْعَزَّاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُعْقِبُهُ الْآجِرُ وَالْجَزَعُ يُعْقِبُهُ الْهَلْعُ . فَمَسَّكَ بِحِطِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَمَلُّ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُذَرِّكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزيه بوليد :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أُسْتَطِيعَتْ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلُ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هَيْبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَاهُفُّكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتِ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرَضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَتْ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامِ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلُ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالُ الْمُشَارِكِ
فِيهَا بَأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أُنَى
مِنْ خُصُوصِ بِهَا دُونَكَ مُؤَمَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤَلِّمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مَضْرُوفُ الْعِنَايَةِ
إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتُ إِنْ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بَعَلَّتْكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِنَفْسِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق يوصي ابن أبي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْفِعَهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبِلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصَفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بَيْرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بَيْنَ كِتَابٍ لَهُ وَآثَرٍ بَيْنَ كِتَابٍ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . تَبَسَّطَ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) مُوَصِّلُ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بَعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخِلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتُ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتُ فِيهِ (لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

الْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . الْحَيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَالْحَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ الدِّفْءَ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُفْتَرَقَةً وَيَتَدَبَّغُونَ الرِّزْقَ فِي
غَايِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ الْقَنْصِ وَتَخْطُفِ النَّاسَ مِنَ السُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ
دَائِمًا فِي الْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةِ الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَتَجَاعَلُوا لِمَرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَارْتَبَدُوا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَعَاتِهِمْ وَحَمَلِ
أَثْقَالِهِمْ وَدِفْعِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَأَخْتَصُّوا لِذَلِكَ بِسُكْنَى الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ .
فَعَمَرُوا أَلْيَنَ وَالْحِجَازَ وَتَجَدَّ وَتَهَامَةً وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِإِخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْبِلَادِ بِالرِّمَالِ وَالْقَفَارِ الْحَيْطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْإِهْلَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَضْلِ الرَّيْعِ وَزُخْرَفِ الْأَرْضِ لِرَغْيِ الْكَلَالِ وَالْعُشْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّنَقُّلِ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَضْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَلَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرَبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ الْعُمَرَانِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعَرَاتٌ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرَغْيِ الزَّرْعِ مُخْضَرًّا أَوْ أَنْتَهَابِهِ دَائِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَزَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهَا

فِيهَا. ثُمَّ يَتَخَدُّونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقِفَارِ لِرَغِي شَجَرِهَا وَنِتَاجِ
إِبْلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا حَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا. وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَضَمَانِهِمْ مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا. فَلَا يَذْأُلُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْخَدِرِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ. شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخَيْطِ فِي الْغَالِبِ
وَلُبْسُ الْعِمَامَةِ تَيَبَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ. لِقْنُوهُمْ أُمَمٌ الْبَرِّ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
أَعْتَقَالُ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةِ وَهَجْرُ وَتَكُوبِ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ: اخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أُشْنُقٌ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ. وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةٍ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلُ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبَرِ وَالْتَجْبُرِ. وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ.
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ. وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ أَيْمَنٍ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنوري)

أخبار العرب العاربة أو البائدة وهم القسم الأول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَاهِمُ
الْأَوَّلَى. وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سَمِيَ أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ
 الْعَرَبِيَّةُ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ الْيَلِّ وَصَوْمُ
 صَائِمٍ أَوْ بِمَعْنَى الْقَاعِلَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُثْمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمُسْعُودِيُّ أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَمَالِكِ وَاسْتَوَلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقَرْيَةِ فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَايِنِ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرُهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُطَارًا الْجَدِيسَ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِتَقَادِمِ انْقِرَاضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُمُ اسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَلْيَسُوا مِنْ الْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ اتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ لِتَزْوُلِهِمْ بِالْبَائِدَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَرَبِيَّةِ وَتَحُلُفِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحَ بْنِ
أَرْفَحْشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ أَلْيَمَنَ وَلَيْسَ أَلْتَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَائِدَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنَّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فَصَالَهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوْ الْقَفْرِ
أَفْحَادُهُمْ وَعَسَايَرُهُمْ . وَتَمَيَّ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَامَهُمْ بِمَنَاقِبِهِمْ وَأَسْتَجَدُّوا خُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْرُبُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاطِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى مِثْلًا وَبِهِ
سُمِّيَتِ أَلْيَمَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْتِ اللَّغْنِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْرُبِ أَيْدَا فَصَرْتُمْ مُعَرَّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامُ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَرْبِ ابْنِهِ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَكَثُرَ
 الْغَزْوُ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينَةِ مَارِبَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (للنويري وابن الاثير)

سَد مَارِبَ وَتَفَرُّعُ بَنِي سَبَا

٣٩٦ قَبْنِي سَبَأٌ فِي مَارِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَقَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَاذِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِمَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حِمِيرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنْ الْيَمِينِ
 وَالشِّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتَرَفُ وَأَبْذَخَ وَأَعْلَى يَدًا
 وَأَظْهَرَ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرَبَتْ
 أَرْضَهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَائِعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَعَابِقَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضِطُّهُمْ الْحَصَرُ وَلَا تَقِيدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَأَخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَعَرِّيًا جُهْدَ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ ظُهُورِ مِنَ الْفِكْرِ وَاقْتِئَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الْوُلَدِ كَثِيرٌ رَأْسُهُمْ
 حِمِيرٌ وَعَمْرُو وَكَهْلَانُ فَيَغْزِي التَّبَائِعَةَ إِلَى حِمِيرَ وَالْمُنَادِرَةَ إِلَى عَمْرُو وَيَتِمَّى

الْفَسَائِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسُورِدُ بِالْتَّخْيِصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعَةٌ لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتَبَعٍ
حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّخْرُ وَحَضَرُ مَوْتٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا
فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبَعٌ . وَأَمَّا خَيْرٌ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِجِ
(١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودٌ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى
الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ
قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَقَرَأَ الْبِلَادُ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ
وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ خَمِيرٍ
وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبَعُ الْأَوَّلِ وَفِي
بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِّبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأْسُ النَّاسِ بِالْعَطَاءِ
يَمَا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْغَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذو الازعار وشرحيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةَ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ
بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ الْبَرَبُ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ
كَنْعَانَ فَأَتَوْهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا
أَفْتَتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رِطَاتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبَرَتِهِمْ . فَسَمَوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِئْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْضَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمُعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعُلَى بِنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُخْصَدُ
وَلَمَّا ذُعِرَتْ خَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَدَتِ الْمَلِكُ شَرْحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرْحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَ شَرْحِيلُ بِالْمَلِكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهَذَا . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وثمر مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَا . وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ
عَلَيْهِ بِنْفِيسَ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمَلِكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَعْتَقَ رَعِيَّتَهُ أَطْوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْإِنِّ
وَسَارَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثَرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبْرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نُصِبَ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَقْطُبَ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ ثَمَرُ مَرْعَشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الشُّهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَايَعَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَثَارُ الْبَعِيدَةُ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدِهِمْ مَقَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِىَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ
جَيْخُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ سِمْرُ كَنْدَأَيِ سِمْرُ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ . وَشَخَصَ مِنَ الْيَمَنِ
غَازِيًا وَصَرَ بِالْحِيرَةِ فَتَخَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
وَهَادُّوهُ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَغْرَاءَ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
الصِّينِ . قَالَ التُّوَيْزِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَأْسِ سَامِي الْأَهْمَةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ تَبِعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَرَ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُهُمْ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةِ . فَتَوَعَّلُوا فِي فُلُوتِ سَبْجَةِ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَعَمَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ انْتَقَلَ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَاصِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيًا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا مُزَقَّةً ، لِئَلَّا يَجِدَ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَخْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْمَجَاوِرَةَ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهد النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَلَّ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَيْرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُوَّاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَّاسٍ هُوَ ابْنُ ثُبَّانٍ
أَسْعَدُ وَأَتَمُّهُ زُرْعَةٌ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَاعِيَةِ لَسَمَى
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَارَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَهُمْ فَضَّلُ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَائِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْخَوَارِجِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابَ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْحَقَّاءَ عَنْ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيَعْظُمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطَّنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَسْمُهُ صَالِحُ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَيْنَ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطَّابَا لِأَدِّ الْعَرَبِ . فَأَخْطَقَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
مُخَلَّةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدْ ابْتَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَابْتَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ اسْتَسْرَجَ لَهُ أَلَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مَصْبَاحٍ حَتَّى يُضَيِّعَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَنْدُلُهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَفَّتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصْلِهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَمِعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَتَهُ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْخَوَارِقُ وَالْمُعْجَزَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَاسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقُتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ امْتَنَحَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيَقْذِفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتْ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةٌ أَشْهُرٌ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّيَتْ . فَقَالَ لَهَا
الْقَلَامُ : يَا أُمَامَةُ لَا تَتَأَفَّقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَاحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِيقَالٍ لَهُ دَوْسُ ذُو
ثُعْلَبَانَ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَشِيرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك الين

٤٠١ قَبَعَتْ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَهُ السُّفُنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهْدَ
إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَحْرَ وَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
وَبَقِيَّتِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَخَاضَ صَنْخَضَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
عَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَانْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَابِعَةِ
(٥٢٩ م) . وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَاتِ
خَيْرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطٍ أَبْرَهَةَ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَا لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
إِلَى أَرْيَاطٍ عُظْمَاءِ الْحَبَشَةِ وَغَطَارِيفُهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَبْرَهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُتِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَبْرَهَةَ عَلَى أَرْيَاطٍ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاعِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَمَالُوا حِينِيذٍ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَبْرَهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيًّا دَخْدَحًا ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَّةِ .
فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةً الْعَمَلِ وَمَتَاهَا

الْقُلَيْسَ (*) فَأَتَشَرَ خَيْرُ بَنَاءِ هَذَا أَلَيْتَ فِي الْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةَ
(٥٧١ ب م) مَلِكُ مَكَانِهِ أَبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ
وَأَذَلَ خَيْرَ وَقَبَائِلِ الْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَاسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَلَمَّا كَانَ أَخُوهُ مُسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عُسْفُهُ (اللازرقى)
اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ
الْيَمِيرِيُّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةَ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبَ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمَوْفُضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) يَسْتَجِدُّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَاسْتَمَهَلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْقَدَمَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . أَبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان القُلَيْسُ مربعاً مستوي الترابِ وجعل طولُهُ في السماء ستين ذراعاً وحولُهُ
سورٌ بينهُ وبين القُلَيْسِ مائتا ذراعٍ مطيفٌ به من كل جانب وجعل بين ذلك كله حجارة
تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة به . وكان
لهُ باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولُهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلقُ العمل
بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة بين اضعافها
كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبة جدرانها بالفسيفساء وفيها صلبٌ منقوشة
بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة تفشي عين من نظر اليها من
بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
اللين وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا أَرَدَدَتْهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصُوا
بِثَمَانِيَةِ وَقَدَمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
وَهَزْرُ الدَّيْلَمِيِّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمْرٍ وَهَزْرُ ابْنِهِ أَنْ يَنَاشَهُمُ الْقِتَالَ
فَقَتَّلُوهُ وَأَخْفَضَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حُمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَاكَ الْيَاقُوتَةُ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَتَغَلَّقَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّرَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
وَأَنهَزَمَ الْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتْهُ مِنْهُمْ
أَرْبَعَةٌ فِي ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً (٦٠١) . وَأَنصَرَفَ وَهَزْرُ إِلَى كِسْرَى
بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ صَتَمَهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
فَرِيضَةٍ يُودِّيَهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَزْلَهُ بِصَنْعَاءَ .
وَأَنفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
يُقَالُ إِنَّ الصَّخَاكَةَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْتَوُ
لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَغْتَسِفُ الْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طُلُوبًا يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرَابِ .
فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنفَرَدُوا بِهِ عَنْ النَّاسِ رَمَوْهُ
بِالْحَرَابِ فَقَتَّلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَاسْتَمَرَّتْ عَمَالُهُ إِلَى أَنْ
كَانَ آخِرُهُمْ بِأَذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجذبة البرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول فلم يصل إلينا تفصيلها وشرح حالها. إلا أنه لما حدث سيل العرم تمزقت عرب اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام. فكانت تنوخ وقضاة وهما حيان من أحياء الأزدي من بني كهلان يمتن تمزق إلى العراق. فقال ملك بن فهم الأزدي لمالك القضاعي: نقيم بالبحرين ونتحالف على من نؤا فتحالفوا. فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي شاذرة فخرجوا عن البحرين وسارت الأزدي إلى العراق مع ملك بن فهم الأزدي. وسارت قضاة إلى الشام مع مالك القضاعي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح) وكان منزله بالأنبار فبقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل وهو لا يعرفه. فلما علم أن سليمة رماه قال:

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شرأجزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما أشد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاض وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك جذيمة البرش. (٢١٥ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المغار شديد النكاية ظاهر الحرم. وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَثُرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعُهُ بِهِ إِعْظَامًا
 فَسَمَّتهُ جَذِيمَةً الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةً الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوْلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
 الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يُجْبِي
 أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ أَلِيَمَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
 أَضْحَى جَذِيمَةً فِي الْأَنْبَارِ مَنَزَلُهُ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
 فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكُ سَابُورَ بْنِ أَشَكٍ . وَكَانَ جَذِيمَةً
 مُلْكَ مَعْدٍ وَبَعْضِ أَلِيَمٍ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانٍ
 ابْنَ أَدْنَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلِكَةَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الْأَزْبَاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّأْرِ
 حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةٍ ثَمُوسَتَيْنِ سَنَةً بِالتَّقْرِيبِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ قَوَّرِثَ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
 رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اخْتَذَ الْحِيرَةَ مَنَزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مُلْكٍ
 يَعُدُّهُ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
 يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّأْرَ مِنَ الزَّبَاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةً . فَلَمَّا أَحَسَّتِ
 الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّصَتْ فِي مَعْقِلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابٍ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
 قَصِيرٍ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَاةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
 أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأنَّهُ اتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةً فَقَالَ :
 وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْكِي لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَافْكُرْ مَتَى وَقَرَّبَتْهُ
 حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْقَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَتُجَبَّى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفْدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
 لِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ يَمَّا يَوَاقِفُهُمْ وَمِمَّا لَا يَوَاقِفُهُمْ . فَكَّرَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحٍ مُجَاوِرَةَ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَالِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَخَفُوا بِالشَّامِ وَأَنْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
 مِنَ الْعَرَبِ يُخَدِّثُونَ أَحَدَانَا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِظَالَّ وَيُبُوتُ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غَرْبِي الْفَرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالْأَثْلُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
 الْحِيرَةِ فَأَبْتَنُوا بِهَا . وَالْأَثْلُ الثَّلَاثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
 مُلْكِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنَزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وَضِعَتْ
 الْكُوفَةُ وَتَلَهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ . (لِلنُّوَيْرِيِّ وَحِمَزَةُ الْأَصْفَهَانِيِّ)

ملك امرئ القيس البدو والخرق والنعمان الاعود السامح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ أَمْرُو الْقَيْسِ الْبَدُو وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقَبَهُ أَوْسُ بْنُ قُلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ. ثُمَّ ثَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدُ بَنِي
فَازَانَ قَتَلَهُ. (٣٦٤ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثاني). (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنُّذِيرِ وَالْمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
أَنَّ يُعْرِ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
الْتُّعْمَانُ الْأَعُورُ السَّاحِجُ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
الْتُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامٍ يَزْدَجِرُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بِهَرَامَ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِبِنَاءِ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ. وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ.
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْقَنَهُ الْحَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارَضِيَّتِهِ. وَكَانَ الْتُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَائَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَقَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ مَرَارًا كَثِيرَةً وَكَثُرَ الْمَصَائِبُ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ. وَكَانَ مَلِكَ فَارِسَ يُنْقِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَهَا الْفَرَسُ وَدَوَسَرَ وَأَهْلَهَا تَنُوحُ. فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ. وَكَانَ صَارَ مَا حَازَ مَا ضَايَطَ أَمْلِكُهُ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْحَوْلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحَيَرَةِ. وَالْحَيَرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْفَرَاتِ. وَلَمَّا أَتَى عَلَى الْتُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحُ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرو القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وَلَدِ أَزْدٍ شِيرٍ وَعَدُّوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشِيهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوهُ مِنْ آدَابِ الْعَجَمِ . وَاسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
تُجَهِّزَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيُطْلَبَ مُلْكُهُ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَاسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَقَفَّاعَهُمْ وَاجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِاللَّهْوِ إِلَى مَوْتِهِ (٤٦٢ ب م) .
وَمَلَكَ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنُ زَيْدٍ النَّصْرَانِيَّ
فَنَصَرَهُ * وَتَرَهَّدَا (٤٦٩) . وَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي انْتَصَرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلَكَ
أَخُوهُ الْمُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُّعْمَانُ الثَّلَاثُ . ثُمَّ
اسْتَخْلَفَ أَبُو يَغْفَرُ بْنُ عُلْقَمَةَ الدُّمَيْلِيَّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٍ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
مَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْخَيْرَةِ وَتَعْضُدُهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَابِي الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحِبُّ بَنَا النَّاقَةِ تَحْوِ الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الثَّلَاثُ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

الْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَانِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَالِيُّ عَامِرَ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرَائِي
عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةَ بْنَ كُلْثُومٍ
قَتَلَهُ لِحَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ (٥٦٢ ب م) . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْمُحْرِقِ وَهِنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنَ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً (٥٧٨) . ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ الرَّابِعُ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشَرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ (٥٨٢) . ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ التُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الَّذِي بَنَى الْغَرَيَيْنِ وَتَنَصَّرَ (لِلنُّوْرِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ التُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ أَنْ يُخْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهِرُ الْحِيرَةَ ثُمَّ يُجْعَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْحَفْرَتَيْنِ . فَقَعِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهِمَا . فَتَدَمَّ عَلَى ذَلِكَ وَغَمَّ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرُ بَيْنَ بُيُوتِ آلِ مُحْرِقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَبُرُوقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَقُلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَتَنَ بَكَيْتَ قَلْبُكَاءَ خَلِيقٍ
ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنَاءَ الْغُرَيَيْنِ عَلَيْهِمَا . فَنُتِيَا
وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغُرَيَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ شَوْمًا أَيْ سَوْدًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيَغْرِى بِدَمِهِ الْغُرَيَّانِ .
فَلَيْتَ بِذَلِكَ بَرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيْيٍ يُقَالُ لَهُ
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ آوَى النُّعْمَانِ فِي خَبَاءِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
الصَّيْدِ وَانْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
مَا زِلْتُ أَفَلَا تَكُنْ مِثْرَتِي قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةَ
أَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ : تَوَجَّلي سَنَةً أَرْجِعْ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ
مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذْ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِوٍ فَأَنْشَدَ :
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِوٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَالَه

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيًّا مِنْ لَا حَيَالَةَ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلُ أَكْرَمَ اللَّهِ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرُو وَشَرَّاحِيلُ الْحَمَالَةَ
 رَقِيَّاكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَثَّبَ شَرِيكَ وَقَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنُ يَدِي بِيَدِهِ وَدُمِّي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِي بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جُعِلَ الْأَجَلُ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءَ حِظْظَلَةٍ .
 فَقَالَ شَرِيكَ : فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنْ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ .
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا . وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيِ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ . فَقَالَ لَهُ وَرَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمُهُ . فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ الطَّاءِيَّ . فَلَمَّا
 كَادَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيْفِ
 إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حِظْظَلَةُ الطَّاءِيَّ قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحْنَطَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : الْوَفَاءُ .
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْعَذْرِ . قَالَ :
 وَمَا دِينُكَ . قَالَ : النَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ . فَعَرَضَهَا فَتَنَصَّرَ
 النُّعْمَانُ . وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِيَّ .

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَرْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ إِلَّا مِثْلَ الْثَلَاثَةِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ
مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلَ الْحَيْرَةِ أَجْعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكُنَائِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَبُو رِزٍّ (٦٠٤ ب م) وَأَنَّهُ طَعَمَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمِهِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الآغا نِي)

الفساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالُ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْسَرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
يَمَارِبَ أَنْتَقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَاءَ قَوْمٌ فَتَزَلُّوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمُوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَتَوْهُمْ ثُعَلْبَةٌ
ابْنُ عَمْرِو النَّعْسَانِيِّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا زَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِجٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّعْسَانِيَّةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جَبَاتِهَا سَيْطًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَاهُمْ سَيْطٌ وَقَصَدَ ثُعَلْبَةٌ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتَجْعَلَنَّ لِي الْإِثَاوَةَ
أَوْ لَا خُذَنَّ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثُعَلْبَةٌ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جَذْعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جَذْعٌ فَاتَكَ .
فَأَتَاهُ سَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثُعَلْبَةً فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُذَهَّبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِثَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذْهُ . ففَتَاوَلَ سَيْطُ جَفْنَ السَّيْفِ وَاسْتَلَّ جِدْعُ نَصْلِهِ
وَضْرَبَهُ بِهِ قَائِلًا : خُذْ مِنْ جِدْعِ مَا أَعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَوَقَعَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيحٍ وَغَسَّانٍ فَأَخْرَجَتْ غَسَّانُ سَلِيحًا مِنَ الشَّامِ وَمَارُوا
مُلُوكًا . وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ الْغَسَّانِيَّةِ ٤٠٠ سَنَةً بَنِيْفٍ (*) (لحمزة الاصفهاني)

ماولك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) هم بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك تأكل القوي الضيف حتى ملك
حجر . وكان تبع حين أقبل سائرًا إلى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساسهم احسن
سياسة وانتزع من الخصمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعًا لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استغلبه الحارث وعظم شأنه حتى
ولاه قباز ملك العجم على العراق مدة ثم طرده انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب
الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
بنين ولأهم على قبائل كندة . وكان حجر اكبرهم متوليًا على بني اسد فتقوضوا امره وقتلوه . فقام
امروء القيس واستعبد بيكر وتقلب على بني اسد فاجدوه وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تحاذلت عنه بكر وتقلب وتطلب المنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرى القيس
خوفًا من المنذر وخاف امروء القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
أناس إلى أناس حتى قصد السموءل بن عاديا اليهودي فآكرمه وأنزله . وأقام امروء القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امروء القيس إلى قصر ملك الروم مستعبدًا به وأودع أدرأه
عند السموءل بن عاديا المذكور . ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وألحق إننا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكًا أو غوث فنعدرا

فات امروء القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عيب . ولما علم بموته هناك قال :
أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عيب

ولما مات امروء القيس سار الحارث بن ابي شمر الغساني إلى السموءل وطالبه بأدرع
امرء القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
امتنع السموءل من تسليم ذلك إلى الحارث قال الحارث : إمامًا أن تسلم الأدرع وإمًا قتلت
انك . فقال السموءل : لست أخفّر ذمتي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر إليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو دَنَانِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ نَزَلُوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعِمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هَذَاكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَلْيَمِنْ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرُمُوتَ . وَاصَابَ أَلْيَمِنْ قَحْطٌ وَقَهْرٌ وَانْحَوَتْ تِهَامَةُ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَغَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلُّوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعِمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَوَفَّى لِمِائَةِ
وَنِثْلَيْنِ سَنَةٍ مِنْ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلَّوْا أَلْيَيْتَ الْحَرَامِ . وَكَانُوا وَلَاةَ وَحُجَابَةَ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَأَمَّا
طَالَتْ وَلَاةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلُوا مِنَ الْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَأَسْتَحْلَفُوا بِجُرْمَةِ
أَلْيَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطَاوِنُ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحِبُ أَنْ تَنْزِلُوا فَتَضَيِّقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَارْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأسر . فضرب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموءل

وفيت بأدراع الكندي إلي	إذا ما خان أقوام وفيت
بني لي عاديا حصنا حصينا	وبتراكلما شئت استغيت
رفيما تزلق العقبان عنه	إذا ما نابني ضم أبيت
وأوصى عاديا قديما بالآ	تخدم يا سموءل ما بنيت

(لأبي الفداء)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفَلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدَرَ دَمُهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمَنِ
وَأَخْرَجَتْ خُرَاعَةَ بَكَّةَ فَوَلُّوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَبِيعَةُ
ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْأَبِلِ وَلِحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصِيُّ الْقُرَشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَصْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخَزَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصِيِّ بَرَقِ خَمْرِ فَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصِيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَاجْتَمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ هـ م) . فَصَادَ
لِقُصِيِّ لُؤَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَمَيَّنَتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَاتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكَعْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعَ الْعَلَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ
ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ
هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ (للازرقى)

(ملحق بتاريخ العرب) ١ اديان العرب

١٢ كانت العرب في أول أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لُحَيٍّ
بضم يقال له هُبَلٌ . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشٍ فكان الرجل اذا قديم من سفر بدأ
به على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عند . وكان هُبَلٌ من خرز العقيق على
صورة انسان وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْشٌ فجعلت له يدا من ذهب .
وكانت له خزانة للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة
ويقولون : انا اختلافنا فبب السراحا . إن لم تَقْلُهُ مُر القِداحا
وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظمًا في الجاهلية
والاسلام . تتبرك الناس به وتقرُّ دونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نُصِبَ صنم
يُعرف بالخلصة سَمَّوْا يلبسوها القلائد ويجدون اليها الشعير والخنطة . فيصبتون
عليها اللبن ويدبحون لها ويلتقون عليها يرض الثعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم
السيارات من الكواكب . وهي المشتري وقيل ان اصل اسمه ذو شراه اي ساطع
النور . والزُهره وزُحَل والمريخ وغيرها من الثوابت . ومن معبوداتهم ايضا المناة
واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر بما يلي قُذَيْد . وكانت صخرة تُراق
عليها دماء الذبائح ويلتسسون منها المطر في الجَدْب . وكانت اللات ايضا صخرة
صنمًا للشمس اذا مرَّ عليها الحاج يَلْتَوِخُهَا بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا
وعظم ومنه اسم الخلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قُرَيْشٌ وبنو كِنانة
ويطوفون بها بعد طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوما . قال الكلبي : وكانت اللات
والعزى ومناة في كل واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراءى للسدنة وهم الحجابة
وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا إلها عبودهُ
دهراً طويلاً ثم أصابهم مجاعة فاكلوه . فقيل في ذلك :

اكلت حنيفة رجلاً زمن التقحُّم والمجاعة

لم يحدروا من رجس سوء العقوبة والتباعة

ومن اديانهم المجوسية والصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية اصنام الذهب للشمس
وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والاقاليم للكواكب . وزعموا ان قُوَى

الكوكب تقيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتقيم وتوحي للناس منافهم . وكذلك قالوا في الاشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة فتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث بن كعب وكندة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : ان قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصروا . واما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجراء وتنبوخ وتلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة اصنامها في الكعبة مثال مريم مزوقاً وابنها عيسى في حجرها قاعداً مزوقاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تظس صورتهما بل بقيتا الى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق (للتوحي والازرق)

٢ علوم العرب وآدابهم

١٣ قاماً علم العرب الذي كانوا يتفاخرون به فعلمُ لسانهم وإحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الاسم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغارجا وعلم بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الخفايا . واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ولا هيباً طبائعهم للعناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمفيد لآيها والشامد على أحكامها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يجنون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ أو فارس تفتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفتخر به الا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حوّل يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون ويتماكطون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وقصيلها له أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال لها مملقات لانها علقت في استار الكعبة . أما الكتابة فحكموا أن ثلاثة نفر من طيء كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا حجاب العربية على حجاب السريانية . فعملت قوم من الأنبار وجاء الإسلام وليس احد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولغلة القراطين عندهم عمدوا الى كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والامي من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لأبي الفرج والجوهري)

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣ الباب الاول في التدئين
٦٤ اشعار جارية مجرى المثل	٣ في كمالاته تعالى
الباب السادس في امثال عن السنة	٤ الدعاء لله
٦٨ الحيوانات	منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ البازي والديك . برغوث وبعوضة	٩ محبة الله والثقة به
٦٩ اللبوة والغزال والقرود	١٢ الاستغفار الى الله
٧٢ ساعة	١٥ العالم العقلي
٧٦ قرد وغيلم	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٩ الضبعة والرجل . اسد وذئب وغراب	في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس
٨٣ الجدي السالم والذئب النادم	١٧ عدي بن زيد والنعمان
٨٥ فارة وهر	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٩١ المدهد الغير المتروى	الراعب المرجاني والشيخ عمر الصبي
٩٢ مالك الخزين والسكة	٢٩ حفظ الخواس
٩٤ الديك والثعلب	الدهر وحوادثه
٩٧ الجمل والملح	٣٠ ذكر الموت
٩٩ البستاني والاربعة العابثون بجنه	٣٢ التوبة الى الله
١٠٣ الباب السابع الفضائل والذائل	٣٥
١٠٣ الصبر	٣٨ الباب الثالث في المراثي
١٠٥ القناعة	٤٦ الباب الرابع في الحكم
١٠٧ العدل	٥٠ نوادر بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٩ الكرم	٥٢ حكم شاتاق الهندي
١١٠ الوفاء الراي والمشورة	٥٤ اشعار حكمية
١١٣ الحسد	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٤ حفظ اللسان وكتان السر	٦٢ فصل من نوادر كلام العرب
١١٧ الغيبة	٦٣ نبذ من كلام الرنخشري والبستي
١١٩ الصدق والكذب	

الباب الثاني عشر في الالغاز ١٨٢	المزاح ١٢٠
الباب الثالث عشر في الوصف ١٨٧	الصداقة وخلص المودة ١٢١
الباب الرابع عشر الحكايات ١٩٤	المطل في الوعد التواضع والكبر ١٢٧
ابن الزبير ومعاوية ١٩٤	الباب الثامن الذكاء والادب ١٢٩
المنصور ومحمد بن جعفر ١٩٥	في العقل وماهيته وشرفه ١٢٩
عمر بن الخطاب والمعجوز ١٩٦	في العلم وشرفه ١٣٣
معاوية والزرقاء ٢٠٠	وصف الكتاب ١٣٨
كريم بن حصلا على الامارة بكرمه ٢٠٣	في البيان والبلاغة والفصاحة ١٤١
يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك ٢٠٨	في الشعر ١٤٢
احسان كريم الى من قتل اياه ٢٠٩	في الأدب ١٤٤
جود معن بن زائدة ٢١١	الآداب الظاهرة ١٤٧
ابراهيم الموصلي والمهدي ٢١٢	الباب التاسع في اللطائف ١٥٠
المرأة المتظلمة وابن المأمون ٢١٤	الخدّاد والامير ١٥٠
المرأة الكريمة ٢١٥	الحجّاج والفتية ١٥١
الاعرابي ومالك بن طوق ٢١٨	ابو العلاء وكتاب الفصوص ١٥٢
الخارجي والمعتصم ٢١٩	فتى فصيح علي بن الجهم والمتوكل ١٥٣
قصة رجل اجار رجلاً استغاث به ٢٢٠	درواس بن حبيب وهشام ١٥٤
الباب الخامس عشر الفكاهات ٢٢٥	الشاعر المتروى ١٥٥
سيد العرب ابن المغازلي عند المعتضد ٢٢٥	المنصور وابن هبيرة ١٥٦
ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي والرشيد ٢٢٨	ابو عبادة البحتري عند المتوكل ١٦٠
ثقل وظريف ٢٣٠	الركّاض والرشيد ١٦٢
سنان بن ثابت والطبيب القروي ٢٣١	الأمي والأعور ١٦٤
حذاء ابي القاسم الطنبوري ٢٣٢	اولاد تزار عند الافى ١٦٦
الباب السادس عشر التوادد ٢٣٥	الباب العاشر في المديح ١٦٧
ابن مقله والواشي ٢٣٥	الباب الحادي عشر في الفخر ١٧٦
معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذة ٢٣٥	والهجو ١٧٦
مشهد الحسين ٢٣٦	ابن كلدة عند كسرى ١٨١





0315334538

893.78

C411

v. 3

c. 1

OCT 10 1967

